الطبعة الرابعة



# ترانيل رمضانية

## في

## فقه القدوم على الله تبارك وتعالى

د. محمد يوسف الجوراني

لمَّا دَنوتَ انهالَتِ الأشواقُ … وهَفَا إليكَ الوَالِهُ المُشتَاقُ

لك غُرَّةٌ كالشَّمْسِ في رَيْعانِها … في كُلِّ نَاحيةٍ لهَا إشْرَاقُ

لك طَلْعةٌ فيها الحَياةُ بَهيَّةٌ … تَرْنُو إلى قَسَماتِها الأحدَاقُ

لك في حَياةِ المُسلِمينَ مَآثرٌ … طابَتْ وطابَ لهُم بهنَّ مَذاقُ







الطبعَة الرابعَة

١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م










تركيا ـ اسطنبول ـ الفاتح ـ اسكندر باشا ـ كزتاش ـ مفرق بنك الكويت

مقابل مستشفى الفاتح ـ بناء رقم ٧ ـ ط ٥

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

Tel: 00902125255551 - Mob: 00905454729850

Www.allobab.com - Email: info@allobab.com

الطبعة الرابعة



# ترانيل رمضانية

في

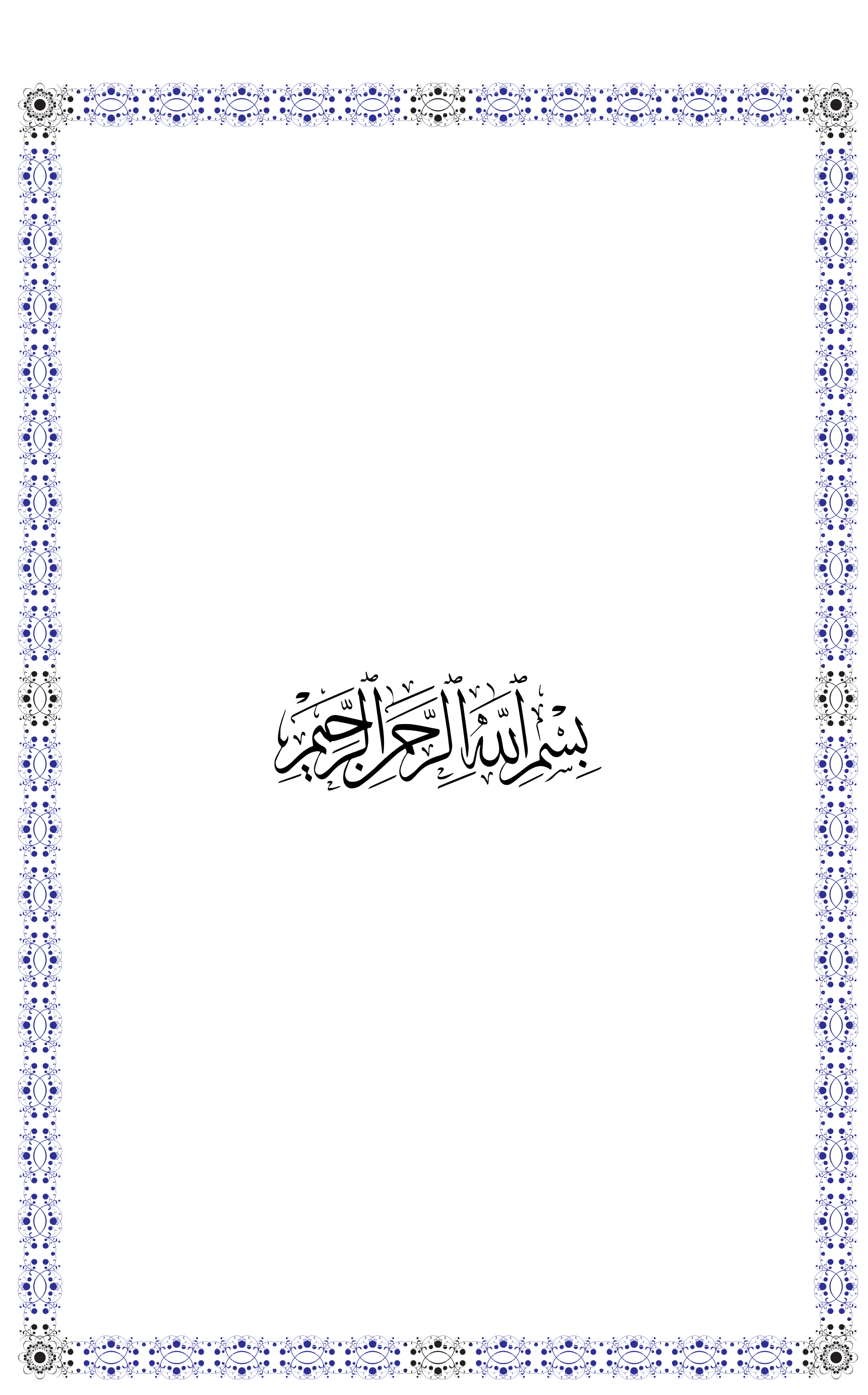
## فقه القدوم على الله تبارك وتعالى

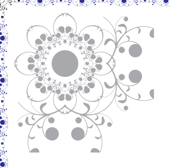
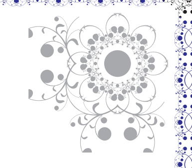

الدكتور

محمد يوسف الجوراني



دار اللباب


بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الرابعة

الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسُولِ اللهِ، نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وَصْحبِه ومَنْ وَالاهُ، أمَّا بعدُ...

فهذه الطَّبعةُ الرَّابعةُ لهذهِ «التَّراتيلُ الرَّمضانيةُ»، والتي أسألُ اللهَ بأسمائه الحُسْنىٰ وصفاتِه العُلَىٰ أن يجعلَها مُباركةً نافعةً لي ولإخواني المسلمين والمؤمنين، وأنْ يَتقبَّلها عنده، ويكتبَ لها عظيمَ الأثرِ والأجر.

راجياً من المولى الكريم أن تكون خيرَ زادٍ للقُدومِ عليه، والوُفودِ إليه.

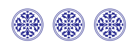
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾


وكتب

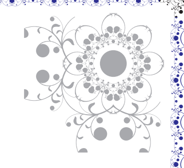
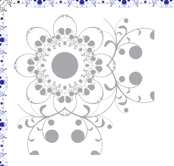
د. محمد يوسف الجوراني العسقلاني

نزيل اصطنبول الخير

m_aljorany@hotmail.com



# المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ على نِعْمةِ الإسلامِ، ومَنزلةِ الإيمانِ، ومِنْحةِ رمضانَ، وكرامةِ القُرآنِ، وفتحِ بابِ الغُفْرانِ، والعِتْقِ مِن النِّيران.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ سَيِّدِ وَلدِ عدنانَ، وصَحْبِه وآلِه التَّابعين له بإحسان. **أمَّا بعد..**

فالخَلقُ في هذه الدُّنيا إمَّا عاقلٌ عامِلٌ وإمَّا جاهلٌ غافِل، إمَّا رَشيدٌ وإمَّا سَفِيه، إمَّا سَعِيدٌ وإمَّا شَقِي؛ ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ولمَّا كانتِ الدُّنيا مَيْدانَ العملِ، والجنَّةُ الجزاءَ والثَّمن، فلا بُدَّ للمرءِ ـ مهما طالَ عُمُره ـ أنْ يُـرَدَّ إلى ربِّه ذي المِنَن، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

ومِن أعظَمِ ما يَتزوَّدُ منه المرءُ في دُنياه قبل أنْ يُردَّ إلى مَولاه، اغتِنامُ الشَّهرِ المُبارك الذي أفاء اللهُ به علينا؛ فأدخلَ فيه الطَّاعات، وتزاحَمتِ القُرُبات، فكان لمن وفَّقه ربُّه زَاداً للقُدومِ إليه، ويُمْناً للوُفُودِ عليه،

والسَّعيدُ مَنْ وُفِّق فيه للصَّالِحات، واغتنامِ الأوقات؛ وفازَ بالأُعطِيات، و﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤].

وإذا كان كذلك، **فيَنْبَغِي عليكَ ـ ضرورةً ـ أن تُحسِنَ الفَهْمَ عن اللهِ، وتَعِيَ عن رسُولِ الله**؛ بحُسْنِ فِقْهِك للدُّخُولِ عليه بصلاحِ العَمَلِ، وانقطاعِ الأملِ، قبلَ دُنُوِّ الأجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

نعم ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾: فاكْدَحْ تُفْلِحْ، واصبِرْ وصابِرْ، وبادِرْ وثابِرْ، وجِدَّ بالعَزْمِ تبلُغْ، ونافِسْ نحو اللهِ والدَّارِ الآخرةِ تَسْبِق، فها هُو مَولاك، للجنَّةِ قد دعاك: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وحَرَّك عزْمَك فناداك: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وحفَّزك للقُرْب لِتَنال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١١].

واسْتَنْهَض قلبَك ورُوْحَك، فشوَّقك لحُسْنِ المَآل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الشورى: ٢٢].

فانظُرْ ما أسمَى هذا النَّعيم، لِمَن أحسَنَ فِقْهَ القُدُومِ على ربِّه وتهيَّأ له، وجعَلهُ نُصْب عَينَيْه، وذَخِيرتَه للوُفُودِ إليه.

**فلا إلهَ إلَّا اللهُ**، ما سَعِدَ مَن سَعِد إلَّا بذلك، وما شَقِيَ مَن شَقِي إلَّا بوُرُودِ المَهالِك!

فمِنْ حُسْن القُدُومِ على ربِّك أنْ تُحدِّث نفسَك دَوْماً:

- لعلَّ هذا العَملَ الصَّالحَ آخرُ عملٍ في حياتي!

فأُبادِرَ بإحْسَانه.

- لعلَّ هذا المَوسِمَ - رمضان - لن يتكرَّر بعدُ.

لأجتَهِدنَّ في الفَوْزِ فيه.

- لعلِّي لن أسْلُك هذا الطَّريقَ ثانيةً؛ لبذْلِ العَوْنِ والعطاءِ.

فليكُنِ الآن.

- لعلَّه لا يُتاحُ لي مرَّة أُخرَى أنْ أُسْهِم في هذا المَعروفِ.

فسارِعْ قبلَ الرَّحيل.

- لعلَّ.. لعلَّ.. اجعلْ ذلك دَيْدنَ حياتِك، وخاطِبْها في التَّرك: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾؟ ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ فتَبْذُل وتُقدِّم وتَسْعى.

وانظر كيف تَستقِيمُ نَفسُك، ويَهْنأُ عيشُك، ويَطِيبُ قلبُك، ويَعظُم حَصْدُك، ويكثُر غُنْمُك!

وإذا افتقَـرْتَ إلـى الذَّخائـر لـم تَجِـدْ

ذُخْــــراً يكــونُ كــــصَالِح الأعمــالِ

فهَاهِي جبالُ الحَسناتِ والطَّاعاتِ أمامك.. و«**الكُسَالى أكثرُ النَّاس همّاً وغمّاً وحُزْناً، ليس لهُم فَرحٌ ولا سُرورٌ**، بخِلافِ أربَابِ النَّشاطِ والجِدِّ في العملِ أيِّ عملٍ كان، فإنْ كان النَّشاطُ في عَملٍ هُم عالِمُونَ بحُسْنِ عَواقِبه، وحَلاوةِ غَايتِه؛ كان الْتِذاذُهُم بحُبِّه، ونَشاطُهُم فيه أقوى»[1].

جعلني اللهُ وإيَّاك مِمَّن يُوفَّق لِرُشْدِ نفسِه، ويَنال هِدَايةَ ربِّه.

و استَمِعْ لنبِيِّك يَبعَثُ الشَّوقَ في نَفْسِك:

فعَنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: «أعْدَدْتُ لعبادي الصَّالحينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سَمِعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَر. واقْرَؤوا إنْ شئتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]»[2].

وعن صُهَيبٍ رضي الله عنه، أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ، إنَّ لكُم عند اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أنْ يُنْجِزَكُمُوهُ».

---

(١) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم رحمه الله (٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

فَيقُولُونَ: وما هُو؟ أَلمْ يُثقِّلْ مَوازِينَنا، ويُبَيِّضْ وُجُوهَنا، ويُدْخِلْنا الجنَّةَ، ويُجِرْنا مِنَ النَّارِ.

قال: «فيُكْشَفُ لهُمُ الحِجَابُ، فَينْظُرُونَ إليه».

قَال: «فَوالله ما أَعْطَاهُم شَيئًا أَحبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إليه، ولا أقرَّ لأعْيُنِهم»[١].

**اللهُ أكبر**.. هُنا تُسْكبُ العَبراتُ؛ شَوقاً للذَّةِ هذا النَّعيم؛ **فاللَّهُمَّ** لا تَحرِمْنا لذَّةَ النَّظر إلى وَجْهِك الكريم، يا الله.

ويقُولُ خالدُ بنُ عُمير العَدَويُّ: خَطَبنا عُتبةُ بنُ غَزوانَ، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه، ثُمَّ قال: أمَّا بعدُ:

فإنَّ الدُّنيا قد آذنَتْ بصَرْمٍ[٢]، وولَّتْ حَذَّاءَ[٣]، ولم يَبْقَ منها إلَّا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناءِ[٤]، يَتصابُّها صاحبُها، **وإنَّكُم مُنتقِلُون منها إلى دَارٍ لا زوالَ لها، فانتَقِلُوا بخير ما بحَضْرتِكُم**، فإنهُ قد ذُكِر لنا أنَّ الحَجرَ يُلْقى مِن شَفَةِ جهنَّم، فيَهْوِي فيها سبعينَ عامًا، لا يُدْرِكُ لها قَعراً، ووالله لَتُملأنَّ، أفعَجِبْتُم؟

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٩٤١) وهو صحيح.

(٢) «آذنت»: أعلمت. «بصَرْم»: بالانقطاع والذَّهاب.

(٣) «حذَّاء»: مُسرعة الانقطاع.

(٤) «صُبابة»: قطرات الماء المُتبقِّية على الإناء بعد فراغه.

ولقد ذُكِر لنا أنَّ ما بين مِصراعَين مِن مَصَارِيع الجنَّةِ مَسِيرةُ أربعينَ سنةً، وليأتينَّ عليها يومٌ وهُو كظيظٌ مِنَ الزِّحامِ[1].

يا الله.. «**ما بين مِصْراعَين مِن مَصَارِيع الجنَّةِ مَسِيرةُ أربعينَ سنةً، وليأتينَّ عليها يومٌ وهُو كظيظٌ مِنَ الزِّحام**»!

فمَاذا تَنْتظِرْ؟

قُمْ فبَادِرْ في القُدُومِ على ربِّك.. بإحسانِ عَملِك.

وانطَرِحْ بينَ يديه، وأصلِحْ ما بينك وبينَه، فسُبْحانَ مَن أفاض على عبادِه بالنِّعْمَة، وكتَبَ على نَفسِه الرَّحمَة، فاستَمْسِك بالذي هُو خَير، وسِرْ إليه بأحسَنِ سِيْرة، وكُن منه على بَصيرة، وليكُنْ هذا منك على بالٍ، فتدبَّرْهُ حقَّ التَّدبُّر، ورَاعِهِ كلَّ مُراعاةٍ؛ أدْخلَنِي اللهُ وإيَّاك مُدْخلَ صِدْقٍ؛ فالسَّعادةُ ثَمَّ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٖ﴾ [هود: ١٠٨].

**لكِنْ تَذكَّر**: أنَّ هذه السَّعادةَ، وذاكَ النَّعِيمُ لا يُدْركُ بالنَّعيم، والمَكارِمُ لا تُجْتلبُ إلَّا على جِسْرٍ مِن التَّعب.

**فيا مَن رُزِق رُشْد نفسِه..**

كَمالُ رُّشدِك أنْ تُحْسِنَ اقتناصَ الفُرَص؛ فمَواسِمُ الخيراتِ مَراتعٌ للحَسناتِ، فإذا هبَّتْ رياحُ الطاعةِ؛ فاغْتنِمْها كلَّ ساعة، فأوقاتُ رَمضانَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٧) موقوفاً.

سَعادة، وطُوبى لِمَن أحسنَ الاستِفَادة، وادَّخَرَها ليوم الوِفَادَة.

يقول الإمام الأوزاعيُّ رحمه الله: «ليس سَاعةٌ مِن ساعاتِ الدُّنيا إلَّا وهي مَعرُوضَةٌ على العبدِ يوم القِيامةِ، يَوماً فيوماً، وساعةً فَساعةً، **ولا تَمُرُّ به ساعةٌ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تعالى فيها؛ إلَّا تَقطَّعَتْ نَفْسُه عليها حَسرَاتٍ،** فكيف إذا مَـرَّتْ به ساعةٌ معَ ساعةٍ، ويومٌ معَ يومٍ، وليلةٌ معَ ليلةٍ»[1].

فعِشْ مع هذا النَّعيم، **واعمَلْ لذلكَ اليومِ الذي تَذُوقُ فيه حقيقتَه وسَعْدَه وهَناهُ..** ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦٠ ـ ٦١].

نعم.. ستُحْضَرُ بينَ يدي ربِّك، يُكلِّمُك، ويُخاطِبُك!

أبْصِرْ.. ستقِفُ بين يدي ربِّك المَلِك يُناجِيك!

يا عبدَ اللهِ.. كيف ستَصْنعْ؟

وبأيِّ زادٍ ستُقْبِل؟

كيف ستَقَدُمُ عليه؟

ما هي ذَخِيرتُك إليه؟

أعِدَّ للسُّؤالِ جواباً.. وقلِّـبْهُ في قَلْبِك وخَاطِرك..

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ١٤٢).

**فوَاخَجَلاهُ**.. إنْ كان القُدُومُ مُخْزِيا، وللهَوانِ مُفْضِيا**!**

هذِه **أشتاتُ** خيرٍ مِن عِلْم وعَمَل..

**وأَفياءُ** زادٍ ليومِ الحَشْرِ والمَعاد..

تَزكُو بها النَّفْسُ، ويَطمئنُّ بها القلبُ، تُوفِّق صاحِبُها بإذن الله سبحانه وتعالى إنْ أخذَ بها إلى الفوزِ بالنَّعِيم، انتقيتُ لك فيها مِن جوامع الكَلِم، وأطايب الحِكَم، ما يَرُوق ويُعْجِب، وزَيَّنتُها لك كعِقْدِ لُؤلؤٍ مَنظُوم، وليس لي فيها كبيرُ فَضْلٍ، إلَّا أنْ هيَّأتها بينَ يديك، وأمامَ عَيْنيك..

**فقِيمةُ كلِّ امرِئٍ ما يَطلُبُ**؛ فعليكَ:

بزادِ الأنبياءِ..

وغِذاءِ الأولياء..

وهَدْي العُقلاء.. «**عِلْمٌ يَـنفعُ، وعَملٌ يُـرفَـعُ**».

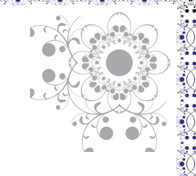
**اللَّهُمَّ** لا تَحْرِمني أجرَها، ولا أجرَ الدَّلالةِ عليها، يا كريم.

**إليـكَ وإلَّا لا تُشـدُّ الرَّكائـبُ ... ومِنْـكَ وإلَّا فالمُؤمِّـلُ خَائـبُ**

**وفيـكَ وإلَّا فالغَـرامُ مُضيَّـعُ ... وعنـكَ وإلَّا فالمُحـدِّثُ كاذِبُ**

**رزقنا الله وإياكم فِقْهَ القُدُومِ على الله**

محمد يوسف الجوراني




## الغَيْرةَ الغيرة على رمضانَ مِن الخطَفة!

فمِنْ مَكارِمِ الأخلاقِ التي أتمَّها الإسلامُ ورغَّبَ بها، **صِفةُ الغَيْرةِ**، وهي مِن المَنازِلِ الشَّريفةِ، والرُّتب المُنِيفة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إنَّ اللهَ يغارُ، وَغَيْرةُ اللهِ أنْ يأتيَ المؤمنُ ما حرَّم اللهُ»(١).

وعَنْ أبي هُريرَةَ **رضي الله عنه** قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ يَغَارُ، واللهُ أَشَدُّ غَيْراً»(٢).

وعن محمود بن لَبِيد رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يَحْمِي عبدَه المؤمنَ الدُّنيا وهو يُحبُّه، كما تَحْمُون مَرِيضكُم الطعامَ والشرابَ تخافُونَ عليه»(٣).

**وأصلُ الغَيرةِ**: مِن تغيُّر القلبِ، حَمِيَّةً وأنَفَةً أنْ يُخالطه غيرُه في اختصاصِه، أو يأخذَهُ بعيداً عن تَحقيقِ مَنفعتِه وهِدَايته.

«والغيرةُ خاصيَّةُ النَّفسِ الشريفةِ الزَّكيَّة العُلْويَّة، وما للنَّفس الدَّنيةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١) (٣٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٢١٠)، ومسلم (٢٧٦١) (٣٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٢٧) وهو حديث صحيح.

المَهينة فيها نَصِيبٌ. **وعلى قدَرَ شَرَفِ النَّفس وعُلوِّ هِمَّتها تكون هذه الغَيرةُ.**

وغيرةُ العبدِ لربِّه، غيرةٌ مِن نفسِه، وهي: أنْ لا يجعلَ شيئاً مِن أعمالِه وأقوالِه وأحوالِه وأوقاتِه وأنفاسِه لغير ربِّه»[1].

ولذلك كانتِ الغَيرةُ عزيزةً؛ إذْ فيها صلاحٌ ومَنْفعةٌ، وتدلُّ على كمالٍ ورَزانةٍ ومَحْمدةٍ. بل هي سِمَةُ إيمانٍ، ورُسُوخُ دِّينٍ، وهي «غَيرةُ المُحبِّ حقَّاً، **والدِّينُ كلُّه تحت هذه الغَيرة.**

**فأقوى النَّاسِ دِيناً أعظمُهم غَيرةً**، فمُحِبُّ اللهِ ورسولِه يغارُ للهِ ورسولِه على قَدْرِ مَحبَّته وإجلالِه، وإذا خلا قلبُه مِن الغَيرةِ للهِ ولرسولِه؛ فهُو مِن المَحبَّة أخلى.

وإذا ترحَّلتِ الغيرةُ مِن القلبِ ترحَّلتْ منه المَحبَّةُ، بل ترحَّل منه الدِّينُ وإنْ بقيت فيه آثارُه! وهذه الغَيرةُ هي أصلُ الجهادِ، والأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المُنكرِ، وهي الحامِلةُ على ذلك، فإنْ خلَتْ من القلب لم يُجاهِد، ولم يأمُرْ بالمعروف ولم يَنْه عن المنكر»[2]!

وإنَّ مِن محامدِ الغَيرةِ، الغيرةَ على شعائرِ الله تبارك وتعالى، ومِن أسمى شعائر الله مَواسِمُ الخيرات، وأجلُّ المَواسِم: شهرُ رمضانَ؛ شهرُ العِتْق مِن النِّيران.

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٤٩٦) مختصراً.

(٢) «روضة المُحبِّين» لابن القيم (٣٨٤) مختصراً.

ومَن رُزق حُسْن القُدُوم على ربِّه، يغارُ في سَيْره إليه أنْ يَلْتفِتَ إلى غيره، بل تراهُ جمعَ نفسَه وكُلِّيَّته عليه في جميعِ أقوالِه وأعمالِه، وسارَعَ الخُطَى بين يديه؛ يُبصِرُ بعَيْنيه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾.. ﴿سَابِقُوٓاْ﴾.. ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ ﴿فَٱسْتَبِقُواْ﴾ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ يَلْتمِسُ رضاه في مَنْشطِه ومكرهِه، وفي يُسْرِه وعُسْره، حتى يطيبَ عيشُه، ويَهْنأ وقتُه؛ فإذا حانَ يوم القُدُومِ على ربِّه تبارك وتعالى صدَق حالُه:

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

## تفكَّر..

عرَّف اللهُ عبادَه شهرَهُم بأجمل تعريف، وشوَّق اللِّقاءَ إليه بكلِّ مَعْنىً لطيف، فحلَّاه من نَعِيم الفضائل، ونَسِيم الجمائلِ ما لا يَخطُرُ على بال.

فهل طرَق سَمعَك مِن مِثْل هذا الفَضْل ممَّا أخبرنا به نبيُّنا ﷺ يوم قال: «إذا كان أوَّلُ ليلةٍ مِن شهرِ رمضانَ صُفِّدَتِ الشَّياطِينُ ومَرَدةُ الجِنِّ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ منها بابٌ، وفُتِّحتْ أبوابُ الجنَّةِ، فَلَمْ يُغلقْ منها بابٌ، ويُنادِي مُنَادٍ: يا باغِيَ الخيرِ أقبِلْ، ويا باغِيَ الشَّرِّ أقْصِرْ»[1].

وتأمَّل قولَه ﷺ: «**وفُتِّحتْ أبوابُ الجنَّةِ**»: ألا تُوقِظُك لئن تفتحَ أبوابَ قلبِك لربِّك، فتُقبِلَ عليه، وتَفِرَّ منه إليه؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله في البخاري (١٨٩٩)، ومسلم(١٠٧٩)

فإيَّاك أنْ تجعلَ بينَك وبينه بوَّاباً؛ «**فكم جَاءَ الثَّوَابُ يَسْعَى إليك، فَوقفَ بالبابِ، فَردَّهُ بوَّابُ: «سَوف» و«لَعلَّ» و«عَسَى»**!»[1].

أوَما سمعتَ عن مَكْرمةٍ مثل هذه، إذ يقولُ حبيبُك ﷺ: «إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ عند كُلِّ فِطْرٍ عُتَقاءَ، وذلكَ في كُلِّ لَيلةٍ»[2].

ثلاثونٌ ليلةً، في كلِّ ليلةٍ عُتقاء للهِ من النَّار.. بَخٍ بَخٍ!

أيا نفسُ.. ألا شَوقٌ يَهِيجُ فيك لِتظْفَري بالسَّعدِ في إحدى هذه اللَّيالي؛ فتُعْتَقِي؟

باللهِ عليكِ.. أتُرَاكِ لو طُفتِ الدُّنيا، هل تجدينَ مَن يَعْرِضُ سِلْعته الغالية هكذا؟ **وزيادةً على هذا الإحسانِ..**

أرَأيْتِ تَشْويقاً لصُحْبَةِ نبيِّك أروعَ مِن قولِه ﷺ: «فإذا جاء رَمضانُ فاعتمري، فإنَّ عُمْرةً فيه تعدلُ حَجَّةً»

وتارة قال: «تَقْضِي **حَجَّةً معي**»[3]!

فأيُّ خيبةٍ للأعمار في الغَفلةِ عن هذه النَّفحاتِ الإلهيَّة، والفُيوضاتِ الرَّبانية، والدَّلالاتِ النَّبوية؟

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (٨٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦٤٣) عن جابر رضي الله عنه وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٦٣)، وهذا لفظ مسلم (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

**فيا أُخَيَّ الغالي.. ويا أُخيَّتي الغالية..**

**قُولُوا لي بربِّكم**: أتَرَوْن هذا الخيرَ في شَهْرنا لا يَستحِقُّ الغَيرةَ عليه مِن خَطفَتِه وقُطَّاع طريقه؟!

**كيف لعاقلٍ أنْ يَهْنأ دون أنْ يغارَ على شَهْره من سُرَّاقه؟!**

تاللهِ إنَّ المرءَ إذا رُزق نِعْمةً، فمِن رَشادِ العقل، وهِدَاياتِ التَّوفيق، ومُثُل السَّعادةِ، أنْ يكلأها بعنايتِه، ويكفلَها برعايتِه، ويكون مِغْياراً على هذه الحَسنةِ التي وَهَبه اللهُ تبارك وتعالى إيَّاها، خَشْيةَ خَطْفةٍ عابرة، أو كَبْوةٍ عاثرة، فيَطفِقُ يُقلِّب كفَّيْهِ على ما فرَّط في حِفْظها والغَيرةِ عليها!

**فمَعِينُ القولِ: الغيرةَ الغيرةَ على رمضانَ مِن الخَطَفةِ**، وأنْ يَذهبَ وقتُك في غير رضى مَولاك؛ فيَقطَعَك ويُعِيقَك عن رَحماتِه، ونَفحاتِه، وخَيراتِه!

كان جيلُ القرآنِ رحمهم الله يَغارُون على شَهْرِهم، مِن حِلَق العِلْم وتدريسِه، وهُو مِن أنفعِ ما يكونُ للعبدِ بعدَ الفرائض، لكن إذا أقبلَ رمضانُ؛ هَرعُوا إلى مَأدُبةِ القرآن يَنْهلُونَ مِن مَعِيْنه، ويَلْتذُّونَ بتَرْتيله؛ أُسْوةً بإمامِهم ونبيِّهم ﷺ يوم كان يَتدارَسُ القرآنَ مع جبريل عليه السلام.

**فكيف يَرْضى العاقِلُ** بما هُو دُون ذلك مِن زُخْرفِ الدُّنيا ومَراتِع اللَّعبِ والعبثِ أنْ يَحرِمَهُ خيرَ شَهرِهِ؟

يقول ابنُ الجوزي رحمه الله: «تأمَّلتُ عجبًا، وهو أنَّ كلَّ شيءٍ نَفِيسٍ خَطيرٍ يطُولُ طريقُه، ويكثُر التَّعبُ في تحصيله. فإنَّ العِلْمَ لمَّا كان أشرفَ الأشياءِ، لم يَحْصُلْ إلَّا بالتَّعب والسَّهَر والتكرار، وهَجْرِ اللَّذاتِ والرَّاحة.

ونَحو هذا تَحصيلُ المالِ، فإنَّه يَحتاجُ إلى المُخاطَراتِ والأسفارِ، والتَّعب الكثير.

وكذلك نَيلُ الشَّرفِ بالكرَم والجُود، فإنه يَفتَقِرُ إلى جهادِ النَّفسِ في بذل المَحبُوب، وربَّما آل إلى الفقرِ.

وكذلك الشَّجاعةُ؛ فإنها لا تَحصلُ إلَّا بالمُخاطَرةِ بالنَّفس.

**ومن هذا الفنِّ**: **تَحصِيلُ الثَّوابِ في الآخرةِ**؛ فإنه يزيدُ على قُوَّةِ الاجتهادِ والتَّعبُّد، أو على قدْرِ وقعِ المَبذُولِ مِن المالِ في النَّفس، أو على قدْرِ الصَّبرِ على فَقْدِ المَحبُوبِ، ومنع النَّفسِ مِن الجَزَع.

**ولله أقوامٌ ما رَضُوا مِنَ الفَضائل إلَّا بتَحصِيلِ جَمِيعها، فهُم يُبالِغُون في كلِّ عِلْمٍ، ويَجتهِدُون في كلِّ عَملٍ، ويُثابِرُونَ على كلِّ فَضيلةٍ، فإذا ضَعُفتْ أبدانُهم عن بعضِ ذلك، قامتِ النِّياتُ نائبةً، وهُم لها سَابِقُون.**

ولقد تأمَّلتُ نَيلَ الدُّرِّ مِن البحرِ، فرَأيتُه بعدَ مُعاناةِ الشَّدائدِ.

**فالمُوفَّقُ** مَن تلمَّح قِصَرَ المَوسِمِ المَعمُولِ فيه، وامتدادَ زمانِ الجَزاءِ

الذي لا آخرَ له، فانْتَهِبْ حتَّى اللَّحظةَ، وزَاحمَ كلَّ فضيلةٍ، فإنَّها إذا فاتَتْ، فلا وجهَ لاستِدْراكِها»[1].

**واعلم ـ جعلَ اللهُ الخيرَ قائداً لك وإليك ـ:** أنَّ طبقاتِ الخلائق في الدُّنيا كثيرةٌ، وكلُّهم حَارِثٌ وهمَّامٌ، لكن مَن فَقِه كيف يَقْدُم على ربِّه لا يَرْضى إلَّا بالرُّتبِ العَلِيَّة، والنُـزُلِ المَرْضيَّةِ؛ فاظْـفَرْ بأرفَعِها تكُن مِن مُلوكِ الآخرة.

## عجباً!

## أتدْرِي مَن مُلُوكُ الآخرةِ؟

«هُم أهلُ الإحسانِ والنَّفعِ المُتعدِّي، وهم: **العُلماءُ، وأئمَّةُ العَدْلِ، وأهلُ الجهاد، وأهلُ الصَّدقةِ وبذلِ الأَموالِ في مرضاةِ الله، فهؤلاء مُلُوكُ الآخرة**، وصَحائفُ حَسناتِهم مُتزايدةٌ، تُمْلى فيها الحَسنات وهُم في بُطونِ الأرض، ما دَامتْ آثارُهم في الدُّنيا، فيا لها مِن نِعْمةٍ ما أجلَّها، وكرامةٍ ما أعظمَها، يَختصُّ اللهُ بها مَن يشاءُ مِن عبادِه»[2].

**فإذا علمتَ ذلك:**

**فليتك تغارُ على رَمضانِك** ممَّن يُحاول خَطْفه، ـ مِن نفسِك الأمَّارةِ أو غيرهاـ بجَعْلِه مَقْضِيَّاً بنَومٍ وخُمولٍ وكسل، دون ذِكْرٍ أو عمل.

---

(١) «صيد الخاطر» (٢٨١) مختصراً.

(٢) «طريق الهجرتين» لابن القيم(٢/ ٨٢٤).

**وليتك تغارُ على رَمضانِك** ممَّن أشغلَك بنفسِه وخدمَةِ أعمالِه عنك، حشَدَ لك جُلَّ الصَّوارف فشغَلَك بنفْسِه وعَملِه، وفوَّت عليك حظَّ نفسِك منك! وكان الأَوْلى بكَ أنْ تَلْتفتَ لنفسِك، فتَرْتقِي بزيادةِ إيمانِك، ورِفْعةِ أعمالِك، ونَهْضةِ ذاتك.

**وليتكِ تغارين على رَمضانِك** من «**مَطْبَخِك**» وملازمته في صباحِك ومَسائك، انشغالاً به بتنوُّع موائدِ الطعام، والتَّفنُّن فيه بتكلُّف وإسرافٍ ومَلْهاة، مع ما يَتبعُ ذلك مِن سهراتِ، وتتبُّع الضِّيافاتِ، وإنَّما كان يَكْفِيك منها بقَدرٍ؛ صِلةً للرَّحِم، أو بعضِ قدرٍ؛ تَلْبيةً لأهل الكَرم!

**وليتـك تغـارُ علـى رَمضانِك** مِـن «**هاتِفِـك**»، ووسـائلِ قَواطِعك لا تَواصُلِـك؛ مِـن «الواتس»، و«الفيس بـوك» و«التويتـر» و«التلغرام» وما شـابه.. **فإنهـا تَصْرِفك عن فُيُوضـاتِ ربِّك!**

فالكياسَةُ أنْ تترُك ذلك جانباً كلَّ وقتِك إلَّا قليلاً، وخصِّص إنْ رأيتَ ضرورةً ونفعاً ساعةً مَفضُولةً تُزاحِمُ فيها بعضَ أعمالك من الدَّرجة الثانية أو الثالثة، بَيْد أنها لا تَخْطِفك عن عزيزِ وقتِك، وكبير همِّك، وشريفِ مَقصدِك، ولا إخالُك إلَّا عاقلاً.

**وليتك تغارُ على رَمضانِك** من «**قَذْفةِ الرِّياء**» في قلبك؛ فيُفسِد عليك صِيامَك، وقيامَك، ومُناجاتِك، وصَدقتِك، وسائرِ أعمالِك الصَّالِحة، احذر ذلك التَّنسُّك المُتكلَّف في الصِّيام، واصرِفْ دَمْعتك في القيامِ

وتقصَّد إخفائها ما استطعتَ لذلك سبيلاً، وإنْ عُرِفتَ؛ ففِرَّ مِنَ المعرفةِ فِرَارك من الأسدِ، فإنَّ اللهَ يُحبُّ العبدَ الغنيَّ الخَفيَّ التقيَّ.

**وليتك تغارُ على رَمضانِك** مِن «**لسانِك**» مِن الغيبةِ والنَّميمةِ والكذبِ، والقِيل والقال، وبما العبدُ مُؤاخذٌ عليه، وهو بَعيدٌ كلَّ البُعد عن مَجالِس الذِّكْر والخير؛ فتَثْبتُ عليه، وتكون حسرةً ونَدامةً يوم الوُقوفِ بين يدي ربِّه تبارك وتعالى.

**وليتكِ تغارين على رَمضانِك** مِن طَرْقِ «**الأسواقِ**»، والانشغال عنه باللَّباس والزِّينة، وما يتبَعُ ذلك مِن قبل الشَّهر وأوَّلِه، وأوْسطِه وآخرِه! ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

**وليتـك تغارُ علـى رَمضانِـك** من «**تِلْفـازك**» الـذي اسْـتَفزَزَ بصوتِه، وجَلَـب عليـك بخَيْله ورَجِلِه، مِن مُسلسـلاتٍ هازِلـة، وبرامجَ حاصِلة، ومُسـابقاتٍ نازِلـة، نصبوهـا علـى أبوابهم في شَـهرِ رمضانَ، ثم زيَّنُـوا بعضَ البرامج لِسَـلْبِك!

رفَعُوا شعاراتٍ ظاهرُها فيه الخيرُ والتَّربيةُ والذِّكرياتُ والخَواطرُ، وهَلمَّ جرًّا، فإذا ما محَّصتها وسَبْرتها رأيتَ فيها ممَّا لا ينبغي أنْ يكون خاصَّةً في هذا الشهر، مع بصيص نَفْعٍ كان الأولى دفعه؛ صيانةً للشَّهر وعِزَّةً عليه، والقومُ في خَطْفٍ بعد خطفٍ لعزيز وقتِك، وقضاءِ يومِك، عَلِمْتَ أو لم تعلم! تارةً في الموعد الأصلي، وتارةً في الإعادةِ، وثالثة

في إعادةٍ أُخرى، وربَّما في قناةٍ ثانية وثالثة، وتمضي ساعةٌ وساعةٌ وساعةٌ، وهكذا دَوالَيْك، زاحَمُوا يومَك ولَيْلَك بهذه البَرامجِ قليلةِ النَّفع والجَدوى، وأغلبُها للسَّلوى!! وتبدأ النَّفسُ تُتابعُ بشغفٍ هُنا وهناك، فإذا بها قد سُرِق يومُها؟

**فلا إله إلَّا اللهُ**، كم هي الحَسراتُ والزَّفراتُ على هذه الشَّواغلِ والصَّوارفِ عن فَرْحةِ رمضانَ، ونَعِيم أجوائه، ولذَّةِ صِيَامِه، وبركةِ قيامِه، وأُنْسِ قراءةِ قُرآنِه، ورَوْحانيَّة الخَلْوة بمُناجاتِه.

**أليس من المُؤسِفِ** أنْ نرى - وكم هو مُحْزِنٌ - بعضَ أهل الخير والدَّعوة يمضي بأُمَّةِ الإسلام بعيداً، ببرامج **ربَّما لو كانت قبل رمضانَ بشهرٍ؛ لكانت أكثرَ نَفْعاً وأعظمَ بركةً في استنهاضِ النَّفسِ في رمضان.**

لكنهم شغلُوا أنفسَهُم قبل رمضانَ بمُددٍ طويلة: سَفراً وتصويراً وتَسْجِيلاً، ثم انطلى عليهم الزُّخْرف؛ فشَاركُوا الخُطَّافَ، ولو بطرفٍ خَفي!

**كم كانَ مِن الخَير لنا ولهُم** لو فَرضُوا أمرَهُم بأنْ تكونَ هذه البرامج في غير مَواسِم البركاتِ والنَّفحاتِ، **هذه المَواسِم التي هي الغَدْوةُ الإيمانيَّةُ الكُبْرى، والزَّادُ الرَّباني الحقيقيُّ لكلِّ العام**، فإذا ضُيِّع ذلك فمتى نَتزوَّد؟

أمَا كان الأجدرُ بهم غيرةً على الشَّهرِ، وغيرةً على أبناءِ المسلمين، أنْ يفعلُوا ذلك؟!

لتبقى هذه المَواسِم نقيَّةً صَفيَّةً هنيَّةً، لا يُكدِّرها شيءٌ يَصرِفُ قلوبَ المسلمين عن رَوْحانيَّتها ولذائذِ العبادةِ والطَّاعة فيها؟

كم من مَغرُورٍ يظنُّ أنه قد أحسنَ صُنعاً في يومه وليله! وهو بَعيدٌ عن ربِّه!

**ويحكِ يا نفسُ.. جِدِّي فإنَّ دهرَكِ هازلُ**، فليتَ شِعْري متى يُفيقُ المُسلمونَ مِن هذه الغَفْلةِ؟.

**أيْ أُخيَّ**.. إيَّاكَ ثُمَّ إيَّاك أنْ تكونَ مِمَّن قال اللهُ فيهم: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

«إذا نَسِي العبدُ نفسَهُ أعرضَ عن مَصالِحِها ونَسِيَها، واشتغَلَ عنها؛ فهَلكَتْ وفَسدَتْ ولا بُدَّ، كمَنْ له زَرْعٌ أو بُستانٌ أو مَاشِيةٌ أو غيرُ ذلك، ممَّا صَلاحُه وفلاحُه بتَعاهُدِه والقيامِ عليه، فأهْمَلهُ ونَسِيَه واشتغلَ عنه بغَيرِه، وضيَّع مَصالِحه؛ فإنَّه يَفْسُدُ ولا بُدَّ، هذا مع إمكانِ قيامِ غيرِه مَقامَهُ فيه، فكيفَ الظنُّ بفسادِ نفْسِه وهلاكِها وشَقائها إذا أهمَلَها ونَسِيَها واشتغلَ عن مَصالِحِها، وعطَّل مُراعاتِها، وتركَ القيامَ عليها بما يُصْلِحُها؟ فما شِئتَ مِن فسادٍ وهَلاكٍ وخَيْبةٍ وحِرْمان!

وهذا هُو الذي صارَ أمْرُه كلُّهُ فُـرُطاً، فانْفَرطَ عليه أمْرُه، وضاعَتْ مَصالِحُه، وأحاطَتْ به أسبابُ القُطُوعِ، والخَيْبَةِ، والهلاك»[1].

**فتفكَّر ولا تَعْجل..**

**متى تَحْظى** بساعةٍ مِن يَومِك في شَهرِ القُرآنِ مع كتابِ ربِّك**؟** تعيشُ في رَبيعِ آياتِه، مُتدبِّراً ومُتفكِّراً ومُتخشِّعاً**؟**

**متى تظفرُ** بوقتٍ خالياً؛ تَخلُو فيه بربِّك، وتُؤدِّي حقَّه، وحقَّ نفسِك، وأهلِك ومَن تَعُول**؟**

**متى تتفقَّد** الأراملَ والمساكينَ وأصحابَ الحاجَاتِ، وتُغْنِيهم عن السُّؤالِ، **وأنتَ أحوجُ إليهم مِنْهم إليك؟**

**متى تُعلِّق** قلبَك بالمساجِد، وتُرابطُ على ذلك لساعاتٍ**؟** تَرجُو فيها: حياةَ قلبِك، وبَعْثَ رُوحِك، وإدْرَارَ دَمْعِك**؟** متى**؟؟**

**متى تَسْتَسْقِي** تَنزُّلَ الرَّحماتِ، وإحلالَ البَركات على نفسِك وقلبِك ورُوحِك؟ في صَلاتِك، وقيامِك، وتلاواتِك، ومُناجاتِك؟

إنْ لم تَتزوَّد في شهرِ الخير، فقُلِّي بربِّك متى؟

**فيا مَن سَمتْ رُوُحه نحو الجِنَان:**

هذه جواذِبُ وخَطَفات فكُنْ منها على حذَر، وأغْلِق نوافذَ اللَّهو

---

(١) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم (١٠٤).

والعبث، **واحذر مَداخِلَ الشيطانِ وطَرائقَه**، وأكاذيبَ مَواثِقه، وإيَّاك أن يتمكَّنَ مِن قلبِكَ وبيتِك؛ فيكونَ الآمرَ المُطاعَ في حينِ غَفلةٍ منك! واجعل هذا نذيرَ عِظَةٍ لك.

واستَعِنْ على ذلك بصَلاحِ اللَّيل ـ مِن أوَّلِ ليلةٍ فيه ـ فذاك مُوفِّقٌ لصلاحِ النَّهار، وصلاحُ النَّهار يُثمِر دَوامَ صلاحِ اللَّيل.

**فحقٌّ على المرءِ أنْ يغارَ على شهره أنْ يَضِيع دُون أن يُثمِّر عمَلَه، ويُزكِّي نفسَه**، فها هو رمضانُ بين يديك.. وهو مِضْمَارٌ واسعٌ للتَّنافُسِ في خيراتِه، وقد تَنوَّعتْ فيه الطَّاعات، وكلٌّ يُفْتَح له مِن أيِّ أبوابه يَفِدُ على ربِّه، **والمُحِبُّونَ يَغارُونَ مِن اطِّلاعِ الأغْيَارِ على الأسْرَار**.

واسْتذْكِر قولَ أبي مُسْلمٍ الخَوْلَانِي رحمه الله يَزِدْك هِمَّةً ورِفْعةً وانطِلاقاً، حين قال: «أيَظُنُّ أصحابُ محمدٍ أنْ يَسْتأثِرُوا بِهِ دُونَنا؟ كلَّا، **واللهِ لَنُزَاحِمَنَّهُم عليهِ زِحَامَاً حتَّى يَعْلمُوا أنَّهم قَدْ خَلَّفُوا وراءهُم رِجَالاً**»[1].

اللهُ أكبر.. يا لَلنُّفوسِ العَلِيَّة، والقلُوبِ الزَّكيَّةِ المُعلَّقةِ بأعالي الجِنَان كم تعمل؟

فأيُّ خجلٍ تُكْسَى به وُجُوهنا حين نُقصِّر، ونحن على مَقدِرةٍ من ذلك؟! فالوصَايةُ لي ولك:

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٤١١).

«إِنِ استطعتَ أنْ لا يَسْبِقك إِلى اللهِ أَحَدٌ فافْعَل»

فإنَّ مِن فِقْهِ القُدُوم على ربِّك تبارك وتعالى أنْ يَسير القلبُ أولاً، فهو المَلِك، فإنِ استقام تَبِعَتْهُ جُنودُه الجَوارح، وإلَّا اثَّـاقَلَ إلى الأرض فلم يَرْفع بذلك رَأساً، وحينها دَعْني أقولُ لك بكلِّ شفقةٍ: «أحسنَ اللهُ عزاءَك في قلبِك»!

فما السَّيرُ إلَّا سيرُ القلب وشَوقُه نحو اللهِ والدَّار الآخرة، والجوارحُ تبعٌ، وأنَّى للجوارحِ أنْ تَنْهضَ وتَرتقي والقلبُ كاسِلٌ خامِلٌ؟!

«وإذا كان الشَّوقُ هو سَفرُ القلبِ في طلب مَحبُوبه، ونُزُوعِه إليه، فهُو مِن أشرفِ مقاماتِ العبد وأجلِّها وأعلاها، ومَن أنكرَ شَوقَ العبدِ إلى ربِّه، فقد أنكر مَحبَّته له؛ لأنَّ المَحبَّة تستلزمُ الشَّوق»[1].

والله مَـا فـي هَـذِه الدُّنْيـا أَلَـذُّ ... مِـن اشْـتِيَاقِ العَبْـدِ لِلرَّحمـنِ

فانْفُضْ رانَ قلبِك، وحرِّك شَوْقَك لربِّك، وسِرْ في دَرْبِك، وكيف لا تسِيرُ إليه وقد حثَّك ودَعاك، ومَنَّاك وحَباك، وذلَّل لك طُرقَ الوُصُولِ إليه، ونصَب لذلك أعلاماً عليه، ورغَّبكَ بالأُنْسِ به، وطمَّعك في مَغْفِرته، فكيفَ تَنْصرِفُ عنه، وتَلْتفت إلى غيره؟

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم (٢/ ٧٢٣).

وطالع كتابي: «المُشوِّق إلى لقاء الله تبارك وتعالى.. رحلةُ رُوحٍ تعرجُ فوق السماءِ السَّابعة» فلعلَّه يَشدُّ مِن أزرِك فيُشوِّقك نحو الله والدَّار الآخرة.

هذا مِن العجَب!

و«**مِن أعجبِ الأشياء**: أنْ تعرفَه ثمَّ لا تُحبَّهُ، وأنْ تسمعَ داعِيَهُ ثمَّ تتأخَّر عن الإجابةِ، وأنْ تعرفَ قدْرَ الرِّبحِ في مُعامَلتِه ثمَّ تُعامِلُ غيرَهُ، وأنْ تعرفَ قدْرَ غَضَبِه ثمَّ تتعرَّض له! وأنْ تَذُوقَ ألم الوَحْشةِ في مَعْصِيَته ثمَّ لا تطلب الأُنْسَ بطاعَتِه، وأنْ تَذُوقَ عُصْرةَ القلبِ عند الخَوضِ في غير حَدِيثه والحديثِ عنه ثمَّ لا تَشتاقُ إلى انشِرَاحِ الصَّدْرِ بذِكْرِهِ ومُناجاته، وأنْ تَذُوقَ العَذابَ عِند تعلُّقِ القلب بغيرِه ولا تَهرُب منه إلى نعيم الإقبالِ عليه، والإنابةِ إليه!

**وأعجبُ مِن هذا**: عِلْمُك أنَّك لا بُدَّ لك منه، وأنَّك أحوجُ شيءٍ إليه، وأنتَ عنه مُعرِضٌ، وفِيْما يُبعِدُك عنه رَاغِب»[1].

**إنَّه اللهُ فكيف لا تُحبُّه؟!**

وكيف لا تَفرحُ للقُدومِ إليه، والوُفودِ عليه؟ وما بك مِن خيرٍ ونِعْمةٍ وعافيةٍ إلَّا مِن فُيُوضاتِ يديه.

**أيا مَنْ يريدُ فَكاكَ نفسِهِ، وتَبْغِي نجاةَ نفسِها..**

ها هِي الأبوابُ قد شُرِّعت، والشياطينُ قد صُفِّدت، ومُنادِي الخير قد نادى، وباغي الشَّرِّ قد أقصَرْ، **فاسْتنْهِض لنَفْسِك عَزَماتِ رُشدِك، وبِـرَّ قلبَك بسَيْرِك نحو ربِّك**.. فما ثَمَّ إلَّا وَعدٌ من الحقِّ جلَّ في عُلاه:

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (٦٢)

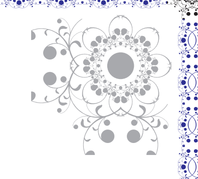
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فدُونكم تَراتيلَ نافعةً طيِّبةً، ترجو رحمةَ ربِّكم وتخشى عذابَه، وهي آخذةٌ بيدي وأيديكم نحو أفنان الجِنَان..

أسألُ اللهَ تبارك وتعالى لي ولكم حُسْنَ القُدُوم، وكرامةَ الوُفُود، وهَناءَ القَبول، يوم يَتحقَّق قولُه: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

فيا هَناءَ أجْرِ العَامِلين: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].






## فلْيُكْرِمْ ضَيْفه

للهِ في أيَّامِنا نَفحاتُ ... مِنْ دَهرِنا تَزكُو بها الأوقاتُ

فِبهَا ألا فتعرَّضُوا وتَضرَّعُوا ... فيها تُجاب لكم بها الدَّعواتُ

يا ربَّنا فيها تقبَّل دَعوةً ... لي منك فيها تَشملُ الخيراتُ

سيَقدُمُ عليك ضَيفٌ عزيزٌ، قد طالَ انتظارُك له، وسَينزلُ عندك في دارِك، يَحْتفي بك، وبأهلِ بيتِك ثلاثينَ يوماً؛ **ضيفٌ عظَّمه اللهُ وكرَّمه، فشرَّف صُوَّامه وقُوَّامه**، مَنَحَهُم فيه مِنَ الأجُورِ ما ليس لغيرِهِ من الشُّهُور، فجعل أجرَ صائميه مُتجاوزاً العشرةَ أضعافٍ، بلْ والسَّبعَ مئةِ ضِعْفٍ ممَّا لا يُحدُّ ولا يُعدُّ، كلُّ ذلك لأنَّ الصيامَ له، وهو سبحانه الذي يَجْزِي به، وكفى بهذا شَرَفاً وفَخْراً للمؤمن.

فهاهو يَطرُق بابَك؛ فقُمْ وأشعلْ مَصابِيح البَهْجةِ والفرَحْ، وزيِّنِ القُلوبَ والدَّارَ واطرُدِ التَّرحْ:

أطلَّ على الناسِ شهرُ الصِّيامِ ... فبُشْراكِ بالوافدِ المُكْرَمِ

هَلُمِّي هَلُمِّي به نَحْتَفِي ... ونُعلِنُ عن فَرْحةِ المَقْدَمِ

أُعِيذُكِ مِن نَزغاتِ الهَوى ... وفي مَوسِم الخِصْب أنْ تُحْرَمي

على عَتَباتِ الرِّضا والسَّلا ... مِ أطِيْلي الوُقوفَ ولا تَسْأمِي

فـإنْ جـادَ بالعَفْـوِ ربُّ السَّـمَا ... ءِ فحَسْـبُكِ ذلـك مِـن مَغْنَـمِ

## رمضان! أيُّ ضيفٍ هو؟

فيه يُمنحُ المؤمنُ أكرمَ ما يحمِلُه بين جَنَباتِ صَدْرِه، وأعظمَ ما يفتخرُ به في قلبِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سور البقرة: ١٨٣]، فهي عمادُ العملِ، وميزانُ الكَرَمِ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سور المائدة: ٢٧].

وهي خيرُ الزَّادِ ليوم المَعادِ، إذ قال ربُّ العباد: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فكُلَّما تَرقَّى المرءُ في مَدارجِ الشَّرفِ بالصُّعودِ في مَعارجِ التَّقوى، زادتْ أجورُ أعْمالِه الصَّالحة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وهل رمضانُ إلَّا تعبُّدٌ بالصبر؟! وهو شَهرُ الصَّبر!

يقـول الحسـنُ رحمه الله: إنَّ اللهَ جعلَ شـهرَ رمضانَ مضمـاراً لخَلْقِه يَسْـتبِقُون فيـه بطَاعَتِهِ إلى مَرْضَاتِهِ، **فَسَبَقَ قـومٌ فَفَـازُوا**، وتَخَلَّفَ آخرونَ فَخَابُـوا، فالعجـبُ مـن اللَّاعِـبِ الضَّاحِـكِ فـي اليَـومِ الـذي يَفُـوزُ فيـه المُحْسِـنُون، ويَخْسَـرُ فيهِ المُبْطِلُون[1].

## فيا أخي الغالي.. ويا أُخيَّتي الغالية:

سارعْ في إعدادِ العُدَّةِ لضيافةِ شَهْرِك الذي أكرمَك اللهُ به فبلَغْتَه يومَ

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (٣٧٦).

حُرِمه كثيرُون؛ فأكرِمْهُ أيَّما إكرامٍ يَليقُ به، لا كما ضيَّعهُ كثيرٌ مِن النَّاس؛ بين تِلْفازٍ، وأسواقٍ، وألعابٍ، وسَهَرٍ ومَطْعمٍ ومَلْبس؛ فأساؤوا ضيافته، فخرَجَ عنهم كما دخلَ بهم، فما ذاقوا طَعْم مَحبَّتِه، ولا وَجدُوا أُنْس صُحْبتِه، فأنَّى لهُم أنْ ينالُو نصيباً مِن شَفاعَتِه؟!

**فمن لَمَح فجرَ الأجر؛ هانَ عليه ظلامُ التَّكليف**[1].. قُمْ وتزوَّدَ مِن خَيراتِه؛ وأقبِلْ على الحياةِ في طاعاتِه، فما وراءَ ذلك إلَّا جنَّةٌ عَرْضُها السمواتِ والأرض أُعدَّت للمُتَّقين العامِلين.

فـ«اشْتَرِ نفسَكَ اليوم؛ فإنَّ السوقَ قائمةٌ، والثَّمنَ موجُودٌ، والبضائعَ رخيصةٌ، وسيأتي على تلك السُّوقِ والبضائعِ يومٌ لا تَصِلُ فيه إلى قليلٍ ولا إلى كثير»[2].

**وانْدُبْ نفسَك لهذه المَكارِم، وادْعُ أهلَك للمَراشِد**، واصْحَبْ أبناءك لِـتِـيْكَ الفضائلِ، وذَكِّر جِيرانَك وأحبابَك، فالصَّادِقُ «لا يَضعُ عصا السَّيرِ عن عاتِقه حتى يَصِلَ إلى مَطْلبِه، قد رُفِع له عَلَمُ الحُبِّ فشمَّر إليه، وناداهُ داعي الاشتياق؛ فأقبل بكُلِّيَّتِه عليه، أجاب مُنادِي المحبَّة إذ دعاه: حيَّ على الفلاح، وواصَل السُّرَى في بَيْداءِ الطَّلَب، فحُمِد عند الوصول مَسْراه، وإنَّما يَحْمدُ القومُ السُّرَى عند الصباح:

---

(١) نحو كلمة قالها ابن الجوزي رحمه الله في «المُدْهِش» (٢/ ٤٦١).

(٢) «الفوائد» لابن القيم (٦٦).

**فحـيَّ علـى جنَّـاتِ عَـدْنٍ فإنهـا**

**مَنازِلُـك الأُولـى وفيهـا المُخيَّـم**»[1]

**فمن صحَّتْ بدايتُه، صحَّت نهايته**؛ «فاللَّهُمَّ سَلِّمْنا إلى رمضانَ، وسَلِّم رمضانَ لنا، وتَسلَّمه مِنَّا مُتقبَّلا».

**فُـزْ بالرِّضـا والعفْـوِ منـه تَعالى　　وزَدِ القُلـوبَ نَزاهـةً وجَـلالا**

**ومُـرِ الخيالَ بـأنْ يكـون حَقيقةً　　إنَّ الحقائـقَ قبـلُ كُـنَّ خيـالا**

**أيْ أُخَيَّ.. أُخيَّتي..**

لربُّما تعلمُ مِن نفسِك إنْ نزلَ بك ضيفٌ تكلَّفتَ وتعنَّيتَ في إكرامه، ومُلاطفَتِه، بإظهارِ أحسنِ ما عندك في ساعةٍ وبضعِ ساعة، وهذه شمائلُ منكَ جميلةٌ لضيفِك!

لكن ألا تُشاطِرني الرَّأي أنَّ هذا العناءَ والتَّكلُّفَ والمُلاطفةَ أحسنُ ما تكون مِنْك لنفسِك في شَهرِك وأنك أحوجُ ما تكون إليها؛ **تَغْذِيةً لقلبِك ورُوحِك** ومَن حَولَك؟

فلا تَحْرمنَّ نفسَك مِن جميلِ نَفْسِك، ولا تُفوِّتنَّ خيراً من لُطْفِ اللهِ بك.

وأبْصِـرْ.. فالضَّيـفُ.. **ضيـفٌ عزيـزٌ**! ومِـنْ عِزَّتـه؛ أنـه لا يُقيـم إلَّا عنـد القُلُـوب الصَّافيـة النَّقيـة، وذَوي الضِّيافـةِ المُحمَّديـة!

---

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيم (١٠٧).

و«**السَّابِقُونَ في الدُّنيا إلى الخيراتِ؛ هُم السَّابِقُون يومَ القيامةِ إلى الجنَّات**»[1]، واحذر فـ«لا يَزالُ قَومٌ يَتأَخَّرُونَ حتَّى يُؤَخِّرَهُم اللهُ»[2].

فنادِ في العبادِ؛ ليوم التَّناد.. يا أُمَّة الإسلامِ:

«**مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ والآخرِ؛ فلْيُكْرِمْ ضَيْفَه**»[3]

(ويا فَوْزَ مَن أحسنَ الضِّيافةَ)



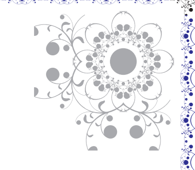
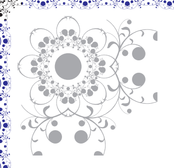
---

(١) «حادي الأرواح» (٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٣٨) عن أبي سعيد رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم(٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



## أقِمْ صلاتَك؛ تَسْعَدْ بحياتِك

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

أقبلَ شهرُ الصِّيامِ، شَهرُ القرآنِ، شهرُ الرَّحمةِ والغُفران، شهرُ الصَّلواتِ والرَّحَمات؛ فما أهْنأ الذي يُقِيم صلاته، ويُؤدِّي فرائضه، ويُحْسِن نَوافِله.

ـ وأعجبُ مِن امرئ يُنْسبُ للإسلام، والمَسجدُ يَشْكُو هَجْرَه، والصَّلاةُ تَئنُّ إلى ربِّها، مِن تَركِ أهلِها.

أمَا عَلِمْتَ حَثَّهُ ﷺ على الصفِّ الأوَّلِ حينَ قال لك: «**لو يَعْلمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلَّا أنْ يَسْتَهِمُوا عَليهِ لاسْتَهَمُوا**»[1]؟!

فتَفكَّر.. كم هُو ذلك الفَضلُ الكبير، والأجرُ الجزيل، الذي لن تُؤْثِر عليه أحداً، ولن تَقبلَ إلَّا بالاستهامِ عليه؛ لِوَلَهِ نَفسِك الظَّفر به!

ـ ومَن أُولئك اللَّآئي استَوْلى الشيطانُ عليهنَّ؛ فحال بينهنَّ وبين ربِّهنَّ الرَّحيم الوَدُود، أنْ يَقِفْنَ على بابه، ويُناجينه في مِحْرابه؛ ففاتهنَّ لذَّة الانطراحِ على عتباته، وسكب الدَّمعِ في مُناداته.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

**فيا قوم..**

الصِّيامُ مَرهُونٌ بالصَّلاة، فلا قَبولَ للصِّيامِ ما لم تُؤدَّ الصلاةَ، **ولا حظَّ في الإسلامِ لِمَن ضيَّع صلاتَه!** فأيُّ قيمةٍ لك بعدَ ذلك عند ربِّك وأنتَ شارِدٌ عن صلاتِه ومَرْضاتِه؟

وجِيرانُك أحرصُ منكَ على الصلاةِ.

وإخوانُك دَوماً في الصفِّ الأولِ..

وأقرباؤُك مِن رُوَّادِ المساجدِ.

وأنتَ؟

ما الذي يَنقُصك للتَّخلُّف عن الصلاةِ؟

ما الذي أقعدَك عن الجماعةِ؟ أزهِدْتَ بالأجرِ؛ فاستغنيتَ بما عندك؟

**إيَّاك إياك..** أنْ يظفر بك الشَّيطانُ فيُقعِدك عن طاعةِ الرَّحمن، فتكون من الخاسرين!

يقولُ الإمامُ ابنُ قيِّم الجوزيَّةِ رحمه الله: «فالصَّلاةُ قد وُضِعتْ على أكملِ الوُجُوهِ وأحسنِها الَّتي تعبَّدَ بها الخَالِقُ تبارك وتعالى عبادَه؛ مِن تَضمُّنِها للتَّعظِيم لهُ بأنواعِ الجَوارِحِ؛ مِن نُطقِ اللِّسانِ، وعملِ اليدَيْنِ والرِّجلَيْنِ، والرَّأسِ وحواسِّه، وسائرِ أجزاءِ البدنِ، يَأْخُذُ بِحَظِّه مِن الحِكْمَةِ في هذه العبادَةِ العَظِيمَةِ المِقْدَارِ، مع أخْذِ الحَواسِّ الباطِنَةِ بحَظِّها منها، وقيامِ القلبِ بِواجبِ عُبودِيَّتِه فيها.

فهي مُشْتمِلةٌ على الثَّناءِ والحَمْدِ، والتَّمجيدِ والتَّسْبِيحِ والتَّكْبِيرِ، وشَهادَةِ الحقِّ، **والقِيَامِ بينَ يَدَيِ الرَّبِّ مَقَامَ العَبْدِ الذَّلِيلِ الخاضِعِ المُدبَّرِ المَرْبُوبِ**.

ثـمَّ التَّذلُّـلِ لـهُ فـي هـذا المَقـامِ والتَّضـرُّعِ والتَّقـرُّبِ إليـه بكلامِـه، ثمَّ انحِنـاءِ الظَّهْـرِ ذُلّاً لـه وخُشـوعاً واسـتكانةً، ثـمَّ اسـتِوائه قائمـاً؛ ليسـتعِدَّ لخُضُـوعٍ أكمـلَ لَـهُ مـن الخُضُـوعِ الأوَّلِ، وهُـو السُّـجُودُ مِن قيـامٍ، فيضَعُ أشـرفَ شـيءٍ فِيـهِ وهُـو وجهُـهُ علـى التُّـرابِ خُشُـوعاً لِرَبِّـه واسـتكانةً وخُضُوعـاً لعَظمَتِـه وذُلّاً لعِزَّتِـه، **قـدِ انْكسَـرَ لـه قلبُـه، وذلَّ لـه جِسْـمُه، وخَشـعَتْ لـه جَوارِحُـه، ثـمَّ يَسْـتَوِي قَاعِـداً يتَضـرَّعُ لـه، ويتذلَّلُ بيـن يَديْهِ ويسـألُه مِـن فَضلِـه، ثمَّ يعـودُ إلـى حَالِه مِن الـذُّلِّ والخُشـوعِ والاسـتكانَةِ، فـلا يزَالُ هـذا دَأْبُه حتَّى يقْضيَ صلاتَـهُ**، فيجلسَ عنـد إرادَةِ الانصِرَافِ منها مُثْنِيـاً علـى ربِّه، مُسـلِّماً على نبيِّـه، وعَلى عبـادِه، ثـمَّ يُصلِّي على رَسُـولِه، ثـمَّ يسـألَ ربَّـه مِـن خَيْـرِه وبِـرِّه وفَضْلِه.

**فأيُّ شيءٍ بعد هذه العبادةِ مِن الحُسْنِ؟!**

وأيُّ كمالٍ وراءَ هذا الكَمَالِ؟!

وأيُّ عُبودِيَّةٍ أشرفُ مِن هذه العُبُودِيَّةِ؟»[(١)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٨٦٥).

**فيا أخِي الغَالي.. ويا أُختِي الغاليةِ..**

«**العَبدُ إذا قامَ في الصَّلاةِ غارَ الشَّيطانُ منه،** فإنَّه قد قامَ في أعظَمِ مَقامٍ وأقرَبِه وأغْيَظِه للشيطانِ وأشدِّهِ عليه، فهُو يَحرِصُ ويَجتَهِدُ أنْ لا يُقِيمَهُ فيه، بل لا يزالُ به يَعِدُه ويُمنِّيهِ ويُنْسِيهِ ويَجْلِبُ عليه بِخَيْلِه ورَجِلِه حتى يُهوِّن عليه شأنَ الصلاةِ فيَتهاوَنَ بها؛ فيَتْرُكَها.

فإنْ عَجزَ عن ذلك منه، وعصاهُ العَبدُ وقامَ في ذلك المَقامِ؛ أقبلَ عَدوُّ اللهِ تعالى حتى يَخطُرَ بينَهُ وبينَ نَفْسِه، ويَحُولَ بينَهُ وبينَ قلْبِه، فيُذكِّره في الصلاةِ ما لم يكن يَذْكُرُ قبلَ دُخولِه فيها، حتى ربَّما كان قد نَسِي الشَّيء والحاجةَ وأيِسَ منها فيُذكِّرُهُ إيَّاها في الصلاةِ ليَشْغلَ قلْبَهُ بها، ويَأْخُذَه عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فيقُومُ فيها بلا قلبٍ، فلا يَنالُ مِن إقبالِ اللهِ تعالى وكرامَتِه وقُرْبِه ما يَنالُهُ المُقبِلُ على ربِّه عزَّ وجلَّ الحاضِرُ بقَلْبِه في صلاتِه، فينصَرِفُ مِن صلاتِه مثل ما دخلَ فيها بخَطَاياهُ وذُنُوبِه وأثقالِه، لم تَخِفَّ عنه بالصَّلاةِ.

**فإنَّ الصلاةَ إنَّما تُكفِّرُ سيِّئاتِ مَن أدَّى حقَّها، وأكملَ خُشُوعَها، ووقفَ بينَ يَدي اللهِ تعالى بقَلْبِه وقالبِه**»[1].

**يا مُحبُّ:**

«مَن فاتَه خُشُوعُ الصَّلاةِ، لَم يكُنْ مِن أهلِ الفَلاحِ، ويَستحِيلُ حُصولُ

---

(١) «الوابل الصيب» لابن القيم (٤٥ ـ ٤٦).

الخشوعِ مع العَجَلة والنَّقرِ قَطْعًا، بل لا يحصُلُ الخشُوعُ قطُّ إلَّا مع الطَّمأنينةِ، وكلَّما زادَ طَمأنينةً ازدادَ خشوعًا، وكلَّما قلَّ خُشُوعُه، اشتدَّتْ عَجَلتُه، حتى تَصيرَ حركةُ بَدنِه بمَنْزِلَةِ العَبثِ الذي لا يَصحبُهُ خُشوعٌ ولا إقبالٌ على العُبوديَّة، ولا مَعرفةُ حقيقةِ العُبوديَّةِ، واللهُ سبحانه قد قال:

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: ٤]، وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود: ١١٤]، وقال: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: ٣٥]، وقال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤].

فلن تكاد تجد ذِكْرَ الصَّلاةِ في مَوضِعٍ مِن التَّنزيلِ إلاَّ مَقرُونًا بإقامَتِها.

**فالمُصلُّونَ في النَّاسِ قَليلٌ، ومُقِيمُو الصَّلاةِ مِنْهُم أقلُّ القَليلِ.**

وليس مَن كانَتِ الصَّلاةُ رَبيعًا لقَلْبِه، وحياةً له، ورَاحةً وقُرَّةً لِعَيْنِه، وجِلاءً لِحُزنه، وذهاباً لِهمِّهِ وغَمِّه، ومَفْزعًا له، يَلْجأُ إليه في نَوائبه ونَوازِله، كمَنْ هي سَحْتٌ[(١)] لقَلْبِه، وقَيْدٌ لجوارِحِه، وتَكْلِيفٌ له، وثِقَلٌ عليه، فهي كبيرةٌ على هذا، وقُرَّةُ عينٍ وراحةٌ لذلك»[(٢)].

**فاستَعِنْ باللهِ، واقصِدْ بيتَه، وحافِظْ على صلاتِك أشدَّ مِن حِرْصك**

---

(١) أي: عذابٌ.

(٢) «الصلاة» لابن القيم (٣٣٩) مختصراً.

على حياتك، وعلِّق القلبَ هناك، وطِبْ في مُناجاة مَوْلاك، فقد يُسبغ عليك أنْ يُدخِلك في ظلِّ عرشه، يوم يكاد النَّاسُ أنْ يَحترقُوا مِن حرِّ دُنوِّ الشمسِ، أو يَغرقُوا مِن تصبُّب عرقهم! وكلٌّ بحَسَبه: فذاك إلى كعبيه، وذلك إلى حِقْويه، وهناك مَن يُلْجِمه العَرقُ إلْجاماً والعياذُ بالله!

وأنتَ.. نعم أنتَ..

يا مَن علَّقتَ قلبك ببيتِ ربِّك، وكنتَ كلَّ يوم ضيفاً عليه خمسَ مراتٍ تُجِيب مُناديه، وتُلبِّي داعيه؛ هنيئاً لك أنْ يُنادَى عليك على رُؤوسِ الأشهادِ أجمعين، أين فلان ابن فلان؟ فتدخل في ظِلِّ عَرْشِ الربِّ تبارك وتعالى فتكون في مَأمنٍ مِن تِيْك الحَرُور والسَّمُوم.

أجلِ يا نفسُ، ما ألذَّ هذا النَّعيم في ذلك المَوقِف!

أتبخلُ على قلبكَ يا أُخيَّ أنْ يُعلَّقَ في أنعَمِ وأجملِ وأَهنئ وألْطفِ بيتٍ، حيث لا صخَبَ ولا غضبَ ولا عتَبْ، ولا همٌّ ولا غمٌّ ولا حُزْن ولا وصَبْ.

ارْبط قلبَك بذاك..

وزوِّدْهُ بجُرعاتِ الفلاح والصَّلاح..

وسَارِعْ، وبادِرْ، وشَمِّر عن سَاعِدِ الجِدِّ..

وأقْبِل إلى مَولاك..

واطلبِ العَوْن منه إليه، فلا تَعْجز، وإنْ تعثَّرتَ فلا تَرْكن أو تكسَلْ، بل اصبِرْ وصابِرْ، وجَاهِد:

فـ«لِلْعَبدِ بَينَ يَدي اللهِ مَوقِفان: مَوقفٌ بين يَديْهِ في الصَّلاة، ومَوقفٌ بين يَديْهِ يومَ لِقَائه؛ فمن قامَ بحَقِّ الموقفِ الأوَّلِ هُوِّن عليه الموقفُ الآخر، ومَنِ استهانَ بهذا الموقفِ، ولم يُوفِّهِ حقَّه شُدِّد عليه ذلك المَوقفِ، قال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٦ ـ ٢٧]»[١].

فيا أُخيَّ، ويا أُخيَّتي:

الصَّلاةُ عَمُودُ الإسلام، ومتى انكسرَ العَمودُ سقطَ كلُّ شيءٍ، ولن يَبْقى لك شيء تَقْدُم به عليه، وربُّك المَولى يُرهِّبُك مِمَّن هذا حالُه بقولِه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

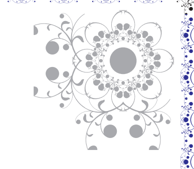
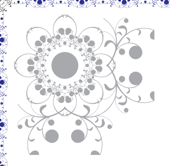
وإني أُعِيذُك باللهِ أنْ تكونَ مِن المُضيِّعين.



---

(١) «الفوائد» لابن القيم (٢٩١).





فالصَّومُ حِرْمانٌ مَشروعٌ، وتأديبٌ بالجُوع، وامتثالٌ للهِ وخُضوعٌ[1]؛ فضائلُهُ جمَّةٌ، وخيراتُه مُلِمَّةٌ، ويا بُشراه لكلِّ أُمَّة.

نَصـومُ وإنَّ الصـومَ مِـن عَلَـمِ التُّقـى
وإنَّ طويــلَ الجُــوعِ يومــاً سَيشــبَعُ

يقولُ الإمامُ ابنُ قيِّم الجوزية رحمه الله: «لَمَّا كان **المَقصُودُ مِنَ الصِّيامِ**: حَبْسَ النَّفْسِ عنِ الشَّهَواتِ، وفِطامَها عنِ المَألُوفَاتِ، وتَعْدِيلَ قُوتِها الشَّهْوانيَّةِ، لِتَسْتَعِدَّ لِطلَبِ ما فيه غايةُ سَعادَتِها ونَعِيمِها، وقَبُولِ ما تَزْكُو بِه مِمَّا فيه حَياتُها الأبدِيَّةُ، ويَكْسِرُ الجُوعُ والظَّما مِنْ حِدَّتِها وسَوْرَتِها، ويُذَكِّرُها بِحَالِ الأكبادِ الجَائعةِ مِنَ المَسَاكِينِ.

وتُضيِّقُ مَجَارِي الشَّيطانِ مِنَ العبدِ بِتَضْييقِ مَجَارِي الطَّعامِ والشَّرابِ، وتُحْبَسُ قُوى الأعضاءِ عنِ اسْتِرْسالِها لِحُكْمِ الطَّبيعَةِ فيما يَضُرُّها في مَعاشِها ومَعادِها، ويُسَكِّنُ كُلَّ عُضْوٍ منها، وكُلَّ قُوةٍ عنْ جِمَاحِهِ وتُلْجَمُ بِلِجَامِهِ، **فَهُو لِجَامُ المُتَّقِينَ، وجُنَّةُ المُحَارِبِينَ، ورِيَاضَةُ الأبْرَارِ والمُقرَّبِينَ**.

وهُو لِرَبِّ العَالَمِينَ مِنْ بينِ سَائِرِ الأعمالِ، فإنَّ الصَّائمَ لا يَفْعلُ شيئًا، وإنَّما يَتْرُكُ شَهْوتَهُ وطَعامَهُ وشرابَهُ مِنْ أجلِ مَعْبُودِه، فهُو تَرْكُ مَحْبُوبَاتِ

(١) نحو كلمة قالها أحمد شوقي في «أسواق الذهب» (٨٤).

النَّفْسِ وتَلذُّذاتِها **إيثاراً لِمحبَّةِ اللهِ ومَرْضاتِه، وهُو سِرٌّ بينَ العبدِ وربِّهِ لا يَطَّلِعُ عليه سِواهُ**، والعِبَادُ قد يَطَّلِعُونَ منه على تَرْكِ المُفْطِرَاتِ الظَّاهرةِ، وأمَّا كَوْنُه تَـرَكَ طعامَهُ وشرابَهُ وشَهْوتَهُ مِنْ أجلِ مَعْبُودِه، فهُو أمرٌ لا يَطَّلِعُ عليه بَشَرٌ **وذلك حَقِيقَةُ الصَّوْمِ**.

**ولِلصَّوْمِ**: تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الجَوارِحِ الظَّاهرةِ والقُوى الباطنَةِ.

**فالصَّـوْمُ**: يَحْفـظُ علـى القَلـبِ والجَـوارِحِ صِحَّتَهـا، ويُعِيـدُ إليهـا مـا اسْـتَلبَتْهُ منهـا أيْـدِي الشَّـهَواتِ، **فَهُو مِـنْ أكْبَرِ العَـوْنِ عَلَـى التَّقْوى**، كما قال تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقـرة: ١٨٣]»[١].

فأكْرِمْ بعبادةٍ اختصَّ الرَّحمنُ بثَوابِها: «**كلُّ عَملِ ابن آدمَ يُضاعَفُ؛ الحسنةُ عشرُ أمثالِها، إلى سبعِ مئة ضِعْفٍ. قال الله** عزَّ وجلَّ: **إلَّا الصَّومَ فإنَّه لي، وأنا أَجْزِي به**»[٢].

فيـا أُنْـسَ كلِّ صائـمٍ بعبادةٍ اختـصَّ المَلِـكُ الكريمُ بثَوابِهـا، وجعلَ عبيـرَ رائحتِهـا أكـرمَ وأطيـبَ مِـن كلِّ رائحـةٍ: «**ولَخَلُـوفُ فَـمِ الصائـم أطيـبُ عنـدَ اللهِ مِـن رِيْحِ المِسْـكِ**»[٣].

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٢٧) مختصراً.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) وهذا لفظه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

**فيا أيُّها الصائمُ**: ادْعُ؛ فـ«**ثلاثُ دَعواتٍ مُستجاباتٍ؛ دَعوةُ الصائمِ**»[1]، فادْعُ لنفسِك، ولأهلِك، ولأحبَابِك، ولا تنْسَ إخوانَك المُجاهدِينَ، وخُصَّ منهم المرابطين والمُحاصَرِين.

وأرْوعُ مِن ذاك أنَّ صيامَك **جُنَّةٌ تَتَّقِي به فَيْحَ جهنَّم**: «**إنَّما الصِّيامُ جُنَّةٌ، يَستجِنُّ بها العبدُ مِن النَّارِ**»[2] فهذا المَقصدُ الأسنى.

وتَتَّقي به مِن أدواءِ الرُّوحِ والبَدن، ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فهذه خَيْريةٌ مُطلقةٌ تَشْملُ الرُّوح والبَدنَ، وقد بات أهلُ الطبِّ يُوصُون مَرْضاهُم بالصِّيام!

يقولُ الإمامُ ابن قيم الجوزية رحمه الله: «الصَّومُ جُنَّةٌ مِن أدواءِ الرُّوحِ والقلبِ والبدنِ، مَنافِعُه تفوتُ الإحصاءَ، **وله تأثيرٌ عجيبٌ في حفظ الصحة**.

فأحَدُ مَقْصُودَي الصيامِ: **الجُنَّةُ والوقايَةُ**، وهي حِمْيةٌ عظيمةُ النَّفعِ.

**والمَقصُودُ الآخرُ**: **اجتماعُ القلبِ والهَمِّ على اللهِ تعالى**، وتَوفِيرُ قُوَى النَّفسِ على مَحابِّهِ وطاعَتِه»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٧٥١٠)، وأبو داود (١٥٣٦) والترمذي (٢٠١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو حسن لغيره.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٦٦٩)، من حديث جابر رضي الله عنه، وهو صحيح لغيره.

(٣) «زاد المعاد» (٤/ ٣٠٧).

قالـــوا سَـــيُتعبُك الصيـــامُ | وأنــتَ فــي السَّــبعين مُضْنَــى
--- | ---
فأجبـــتُ: بـــل سيَشُـــدُّ مِـــن | عَزمــي ويَحبُــو القلــبَ أمْنَــا
ذِكْـــراً وصَبـــراً وامتِثَـــالاً | للَّـــذي أغنَـــى وأقنَـــى
ويَمُدُّنـــي رُوْحـــاً وجِسْـــماً | بالقُـــوَى مَعْنـــىً ومَبنَـــى
رمضـــانُ عافيـــةٌ فَصُمْـــهُ | تُقَـــىً لتَحْيـــاً مُطمَئنَـــاً

لكَ اللهُ أيها الصائمُ ما أعظَمَ صَوْمك يوم أخلَصْتَ وصدقْتَ فيه لربِّك، وتَقصَّدْتَ لذَّةَ العُبودِيَّة فيه حيثُ أمركَ بالصيامِ فصُمْتَ، وأمرك بالطعام فطَعِمْتَ، لا تنتقلُ إلى مَرحلةٍ إلَّا بأمرهِ، ولا تَنْثنِي عن زَاجرٍ إلَّا بنَهْيِهِ، فطِبْ نفساً يوم يأتي صَومُك بينَ يديك شافعاً مُشفَّعاً!

وأعْظِم بعبادةٍ تَشفَعُ لك كما يَشفعُ النَّبيُّون والمُؤمنون:

فـ«**الصِّيامُ والقرآنُ يَشْفعان للعباد يوم القيامة، يقول الصيامُ: ربِّ إني مَنعْتُه الطعامَ، والشرابَ بالنهار؛ فشفِّعْني فيه**»[1].

**فيَشْفع لك الصيام**: يوم تتمنَّى حسنةً تُغلِق بها عنك باباً مِن أبوابِ جَهنَّم.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦٦٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٩٤) وابن نصر المروزي في «قيام الليل» (٤٦) من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما، وهو حديث حسن.

**ويَشْفع لك**: يوم تَتُوق لقراءةٍ تَرْقَى بها درجةً في الجنَّة.

**ويشفع لك**: حين يَفِرُّ منك أقربُ الناس إليك، ويأتيك عَملُك الصالِح مَسرُوراً أمام عَيْنيك.. أهذا فحَسْب؟

لا، بل فوق ذلك.. فَرْحتانِ!

إيْ وربِّي! تُهْدَى لك فَرْحتانِ؛ يقولُ نبيُّك المُصطَفى ﷺ: «**للصائمِ فَرْحتانِ؛ فَرْحةٌ عند فِطْره، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه**»[1].

**الله أكبر.. كثُرَ خيرُ اللهِ وطاب.**

**فرحتان!!**

«**فَرْحةٌ عند فِطْره**»: أمْرُها مَعلُومٌ بتمامِ صِيَام يَومِه، وبلوغِ لذَّةِ طعامِه بعد صَومِه، وهذا يَسِيرٌ.

لكنَّ الخطْبَ الجليلَ في الفرحةِ الثانية! **وهي الفَرْحةُ الكُبرى!**

فَجَلِّها لنا..

«**وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه**»: فَرحةٌ لا تَعْدِلُها فَرحَةٌ، تَغْمِسُك في نعيمٍ مُقِيم، ورضاً مِن رَبٍّ رَحِيم، تُغمَرُ رُوحُك في رَوْضةٍ مِن رَوضاتِ الجنَّة؛ يَذهبُ لُبُّك كلَّ مَذْهب..

أتدري عن أيِّ فَرحةٍ أتحدَّث؟

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَـرْحةِ لقاءِ المَلِكِ الدَّيان.. بَخٍ بَخٍ. فللَّهِ دَرُّ الصائمينَ قد أحسَنُوا قُدُومَهُم على ربِّهم تبارك وتعالى.

**فأينَ أصحابُ بابِ الرَّيان**.. هذا يومُ فَرحةِ لقائكُم بربِّـكُم، يومَ صُمْتُم مُخلِصِين، مُتعبِّدينَ مُتذلِّلين، ها أنتُم اليومَ في فرحةٍ كُبْرى، وسَعادةٍ عُظْمَى تَلْقَونَ ربَّـكُم ليَجْزِيكُم أحسنَ الجزاءِ، ويُعظِم لكم خَيرَ العطاءِ؛ فهَنِـيئاً لِمَنْ صامَ يومَه في مَرْضاةِ الله.. ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٤٩ ـ ٥٤].

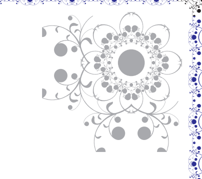
فأين أنتَ يا صاحبَ القلبِ السَّليم، ويا باغِي فضائلَ الربِّ الرَّحيم مِن هذه الفضائل السَّنيَّةِ، والعَطايا البَهِيَّة، أتقعدُ عنها؟

أتبْخَلُ بها على نفسِك.. ويَفُوز بها غيرُك؟

فهـا أنـتَ اليـوم تُدْعى لتُشـمِّر عـن سـاعدِ الجِـدِّ، وتَرْتقِي فـي هاتِه الفضائـل والكرائم..

حيثُ الصَّفاءُ والنَّقاءُ والبَهاءُ والرَّواءُ والهناءُ والالْتِجاءُ.

**فطُوبى للصَّائمين المُخْلِصِين**

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

الصِّيامُ مَدْرجةٌ إلى التَّقوى؛ فإذا انتظمَ الصَّائمُ في سِلْكها، وترقَّى في مَعارِجِ المُتَّقين؛ أَوْرَثَهُ اللهُ بَحبُوحةَ الجنَّة.

وكيفَ لا يَرِثُ الجنَّةَ، ومِلاكُ الأمرِ كلِّه في «التَّقوَى»، بل هي أكثرُ مَا يُدْخِلُ الجنَّة..

عن أَبِي هُريرةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكثَرِ ما يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فقال: «تَقْوَى اللهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ»[1].

ومِعْراجُكِ الفَذُّ تَقْوى الإلـهِ      فركضاً إلى اللهِ لا تُحْجِمي

والصَّائمُ متى رَاعى التَّقوى في مَدْخلِه ومَخْرجِه، في مَطْعمِه ومَشْربِه، في سَمْعِه وبَصرِه؛ فقد صحَّ صَومُه، وصَلَح قلْبُه، وهُيِّئ للفَوزِ في رمضانَ، وحُسْنِ القُدُوم على ربِّه الرَّحمن.

وهذه غايةُ مَقصُودِ الصِّيامِ: التَّقوى!

ولو سرَّحتَ فِكْرك في خِتام أوَّلِ آيةٍ في الصَّيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وخِتامِ آياتِ الصِّيام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لبانَ لك جليلُ العنايةِ بتحصيلها!

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٠٧) والترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) وهو حسن.

يقُولُ عُمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله: «ليسَ تَقْوى اللهِ بصِيامِ النَّهارِ، ولا بقيامِ اللَّيلِ والتَّخليطِ فيما بينَ ذلك، ولكنَّ تَقْوى اللهِ تركُ ما حرَّمَ اللهُ، وأداءُ ما افترضَ اللهُ؛ فمَن رُزِق بعد ذلك خَيراً؛ فهُو خيرٌ إلى خَيرٍ»[1].

**إذا لـم يكـن فـي السَّـمعِ مِنِّي تَصاونٌ**

**وفي بَصرِي غَضٌّ وفي مَنْطِقي صَمتُ**

**فحَظِّـي إذاً مِـن صَوْمِـي الجُـوعُ**

**فإنْ قلتُ إني صُمتُ يومي فما صُمْتُ**

يقول الأستاذُ سيِّد قُطُب رحمه الله: «**التَّقوى.. حساسِيةٌ في الضَّمير، وشفافيةٌ في الشُّعورِ، وخَشيةٌ مُستمِرَّةٌ، وحَذرٌ دائمٌ**، وتَوقٍّ لأشواكِ الطريقِ.. طريقِ الحياة.. الذي تَتجاذبَه أشواكُ الرَّغائبِ والشَّهواتِ، وأشواكُ المطامِعِ والمَطامِحِ، وأشواكُ المَخاوفِ والهَواجِسِ، وأشواكُ الرَّجاءِ الكاذب فيمن لا يملك إجابةَ رجاءٍ، والخوفِ الكاذبِ ممَّن لا يملكُ نَفْعاً ولا ضَرَّاً»[2].

فإذا أقامَ المُسلِمُ حُدودَ اللهِ في شهرِ الصِّيامِ، وأغلقَ أبوابَ المَعاصِي والآثامِ، وهَجَرَ الخَطَراتِ، والنَّظراتِ، واللَّفظاتِ، والخُطواتِ الحرَامِ؛ أسعَدَهُ اللهُ كلَّ سَعادةٍ، وغَمَرَ قلبَهُ بالفَرْحةِ والأُنْسِ بطاعَتِه، وأكرَمهُ

---

(١) «الزهد الكبير» للبيهقي (٩٦٤).

(٢) «في ظلال القرآن» (١/ ٣٨)

بمَرْضاتِه، ومَنحهُ فُيوضَاتِ خَيراتِه وبركاته؛ فيا بُشْرَاهُ، وقد اتَّقى، يُنادَى به؛ وقد أُعدَّ له: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

وتأمَّل كيفَ خَتمَ الحقُّ سبحانه وتعالى آيةَ الصِّيامِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: «يُفْهَم منها أنه لو كانت في العالَم خَصْلةٌ هي أصلحُ للعبد، وأجمعَ للخير، وأعظمَ للأجر، وأجلَّ في العبودية، وأعظَمَ في القدْرِ، وأَوْلى في الحالِ، وأنْجَحَ في المآلِ، مِن هذه الخَصْلةِ؛ لكان اللهُ سبحانه أمرَ بها عبادَهُ، وأوْصَى خَواصَّه بذلك؛ لكمَالِ حِكْمته ورَحْمتِه.

فلمَّا أوْصَى بهذه الخَصْلةِ جميعَ الأوَّلينَ والآخرينَ مِن عبادِه، واقتصر عليها؛ عَلِمْنا أنَّها الغايَةَ التي لا مُتجاوَز عنها ولا مقتصر دونها، وأنه عزَّ وجلَّ قد جمعَ كلَّ مَحْضِ نُصْحٍ، ودلالةٍ، وإرشادٍ، وسُنَّةٍ، وتأدِيبٍ، وتَعْليمٍ، وتَهْذِيبٍ في هذِه الوصيَّة الواحِدَة.

وقولُه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، يُشْعِر بأنَّ الأمرَ كلَّه راجعٌ إلى التَّقوى»(١).

**إذا المرءُ لَمْ يَلبسْ ثِياباً من التُّقَى**
**تقلَّبَ عُرْياناً وإنْ كان كَاسِيا**

---

(١) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروز آبادي (٢/ ١١٦).

وسَبِيلُ تَحقيقِ هذه المنزلةِ الشَّريفةِ والرُّتبةِ المُنيفةِ ما قرَّره الإمامُ الغَزَّالي رحمه الله بقولهِ:

«اعلم أنَّ التَّقوى كنزٌ عزيزٌ، فلئن ظَفِرتَ به؛ فكم تَجدُ فيه مِن جَوهرٍ شريفٍ، وعِلْقٍ نَفيسٍ، وخيرٍ كثيرٍ، ورِزقٍ كريمٍ، وفَوزٍ كبيرٍ، وغُنْمٍ جسيمٍ، مُلْكٍ عظيمٍ، وكأنَّ خيراتِ الدُّنيا والآخرةِ جُمِعتْ فجُعِلتْ تحتَ هذه الخَصْلةِ الواحدةِ التي هي: التَّقْوى. كم عَلَّق بها مِن خيرٍ، وكم وَعَد عليها مِن ثوابٍ وأجر، وكم أضَافَ إليها مِن سَعادةٍ؟

**حَقيقةُ التَّقوى:**

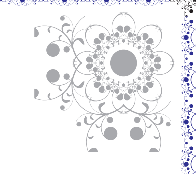
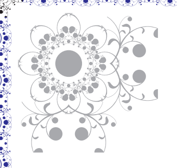
أنْ تقومَ عليها بقُوَّةِ العَزْمِ، فَتَمنَعها عن كلِّ معصيةٍ، وتَصُونَها عن كلِّ فُضُولٍ. فإنْ فعلتَ ذلك: كنتَ قد اتَّقيتَ اللهَ في عينِك وأُذنِك ولِسانِك وقلبِك وبطنِك ورجلِك وفَرْجِك وجميعِ جَوارِحك وأركانِك وألجمْتَها بِلجامِ التَّقوى.

ومَنْ أرادَ أنْ يتَّقِي اللهَ تعالى فلْيُراعِ الأعضاءَ الخمسةَ، فإنَّهنَّ الأُصول: العينُ والأذنُ واللِّسانُ والقلبُ والبطنُ، فيحرِصُ عليها بالصِّيانةِ لها عن كلِّ ما يَخافُ منه ضَرراً في أمرِ الدِّين؛ مِنْ معصيةٍ وحرامٍ وفُضُولٍ وإسرافٍ مِن حلال.

وإذا حصَّل صيانةَ هذه الأعضاء، فمرجُوٌّ أنْ يكفي ضَرَر سائرَ الأعضاءِ ويكون قد قامَ بالتَّقوى الجامعةِ بجميعِ بدنهِ للهِ عزَّ وجل»[1].

---

(١) «منهاج العابدين» (١٢٢ ـ ١٣٢) باختصار.



قِراءةُ القُرآنِ بتَدبُّرٍ وتفكُّرٍ كَرامةٌ أكرمَ اللهُ بها أهلَه! ووفَّق ورَزقَ مَن شاءَ مِن عِبادِه لذلك، **والصُّحبةُ للقُرآنِ رِزْقٌ لا يُعْطاها كُلُّ أحدٍ!**

وأهلُ اللهِ تبارك وتعالى هُم: أهلُ القرآن؛ أهلُ اللهِ وخاصَّتُه.

والخاصَّةُ: أوْلياؤُهُ المُقرَّبون.

وما منزلةُ المُقرَّبينَ؟

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قال: قِيلَ: مَنْ هُم يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ»(١).

**فمَنْ أحبَّ أنْ يكُونَ مِنْ أهْلِ القُرآنِ وخاصَّتِه**: فلْيَصْحبِ القُرآنَ، ولْيَعِشْ مع القرآنِ، ولْيَحْيَا بحياةِ القرآنِ، ويَهْتدِي بهَدْيِه، فالحياةُ في مَعِينِ القرآنِ أنعمُ حياةٍ للقلب، والرِّحلةُ مع القرآن أجملُ رحلةٍ عَرفَتْها النَّفسُ، والعيشُ في كَنفِه ذلك عَيْشُ النَّعيمِ، والهَناءُ المُقِيم..

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٩٢) وإسناده حسن.

واسمَعْ لقولِ مولاك: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

فخَيْرُ الهِدَاياتِ هِدَاياتُ القُرآنِ، فهي أقوَمُ لدِيْننا ودُنْيانا، فأنَّى لعاقلٍ أنْ يُجنِّب نفسَه قَطْفَ هذا الهِدَاياتِ ومُثُلِ السَّعادات؟!

وهُو أحسنُ الحديثِ.. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

فهَذِه القِراءةُ القُرآنيةُ النَّدِيَّةُ لجَمالِها ووقْعِها الأخَّاذِ، ولصوتِ الخَشْيةِ المُتجلِّلِ في تَرانِيمِه؛ اشتاقتِ المَلائكةُ لسَماعِه مِن عبادِ اللهِ المؤمنين.

## وهل أتاكَ نبأُ أُسَيدِ بنِ حُضَيرٍ؟

يقول رضي الله عنه: بَينَما هُو ليلةً يَقرأُ في مِرْبَدِه[1]، إذ جَالتْ[2] فَرسُه، فقَرَأ، ثُمَّ جَالت أُخرى، فقَرَأ، ثُمَّ جَالت أيضاً، فقال أُسيدٌ: فَخشِيتُ أنْ تَطأَ يحيى ـ يَعني ابنَهُ ـ فقُمتُ إليه، فإذا مِثلُ الظُّلَّةِ فَوقَ رَأسِي، فيها أمثالُ السُّرُجِ، عَرجَت في الجوِّ حتَّى ما أراها.

قال: فغدَوْتُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، بينما أنا البارِحةَ مِن جَوفِ اللَّيلِ أقرأُ في مِرْبَدِي إذ جَالت فَرَسِي.

---

(١) المِرْبد: الموضع الذي تحبس فيه الخيول والإبل والغنم.

(٢) جالت: اضطربت اضطراباً شديداً.

فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقرَأ ابنَ حُضَيرٍ».

قال: فقرَأتُ، ثُمَّ جَالت أيضاً.

فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقرَأ ابنَ حُضَيرٍ».

فقرَأتُ ثُمَّ جَالت.

فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقرَأ ابنَ حُضَيرٍ».

قال: فانصَرَفْتُ وكان يَحيَى قَرِيبًا منها، فخَشِيتُ أنْ تَطأَهُ، فرأيتُ مِثل الظُّلَةِ فيها أمثالُ السُّرُجِ عَرجَت في الجوِّ حَتَّى ما أراها.

فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلكَ المَلائِكَةُ كَانَت تَستَمِعُ لكَ، وَلو قَرَأتَ لأصبَحَتْ يَراها النَّاسُ، لا تَسْتَتِرُ منهم**»[1].

## للهِ هذا القُرآنُ ما أطْيَبه على القلوب..

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]. فللقُرآنِ تَذْكِرةٌ جَلِيلةٌ في رَمضانَ، فيه أُنزِلَ، وفيه تَدارسَه أمينُ السماءِ معَ أمينِ الأرضِ، فكانَ ما كان.. ولكن:

- أليسَ هذا القُرآنُ هُو هُو الذي أُنزِلَ على نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ، فكان يَقُومُ اللَّيلَ يُردِّد آيةً واحدةً؟

- أليس هُو بكلمَاتِه وحُروفِه الذي سَمِعهُ الصَّحابةُ رضي الله عنهم؛ فحوَّلَهم وغيَّرهُم مِن أُمَّةٍ مَغلُوبة تَبعِيَّة، إلى أُمةٍ قائدةٍ رَبانيَّةٍ؟

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١١٧٦٦) وهو في البخاري (٥٠١٨) تعليقاً.

اقرأ إنْ شئتَ:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ـ أليس هُو القرآنُ الذي وَصفَه اللهُ تبارك وتعالى بقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

ـ أليس هو كَلامُ الله سبحانه وتعالى الذي لو قَرأه مَعمُورُ القلبِ على مريضٍ ذي آفةٍ لقامَ وما به مِن عِلَّةٍ ولا دَاء؟

فما بالُنا اليوم لا نَجدُ أثرَهُ في قُلوبِنا وحَياتِنا؟

هل أُقفِلتِ القُلوبُ مِن هَجْرِنا لتَدبُّرِه؟! فصدَق علينا قولُه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

**ألا نَتساءلُ ما هذه الحال؟**

تاللهِ.. لن يُقْبِل قلبُك على خيراتِ القَرآنِ ونَفحاتِه، والنَّيلِ مِن مَعينِ فُيوضَاتِه.. **ما لم تَغمُرْه الفَرْحةُ الشَّديدةُ بالقُرْآن!**

ولن يَذُوقَ حَلاوة فَهْمِ كلام ربِّه وهو في غَفْلةٍ عن طَرائقِ الانتفاعِ مِن هذا القُرآن..

يقول شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رحمه الله: «**إنَّ معاني القرآنِ لا يَذُوقها إلَّا القُلوبُ الطاهرةُ، وهي قُلوبُ المُتَّقين**»[1].

وهذه القُلوبُ المَعْمُورةُ تَعرِفُ كيفَ تَنْتفعُ منه، وتَسْتضِيءُ بنُورِه، وتَهْتدِي بهدْيِه..

و«**إذا أردتَ الانْتِفَاعَ بالقُرآنِ**: فاجمَعْ قَلْبك عند تِلاوتِه وسَماعِه، وألْقِ سَمْعك، واحضُرْ حُضُورَ مَن يُخاطِبُه به مَن تكلَّم به سُبحَانهُ مِنهُ إليهِ، فإنَّه خِطابٌ مِنهُ لك على لسَان رَسُولهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وذلك أنَّ تَمامَ التَّأْثِير لمَّا كان مَوقُوفاً على مُؤثِّرٍ مُقتَضٍ، ومَحلٍّ قَابلٍ، وشَرطٍ لحُصُولِ الأثرِ، وانتِفَاءِ المَانعِ الذي يَمنَعُ مِنهُ، تَضمَّنتِ الآيَةُ بيانَ ذلك كلِّه بأوْجَزِ لفظٍ وأبْيَنِه، وأدلِّهِ على المُرَاد.

**فإذا حصَل المُؤثِّرُ**: وهو القُرآنُ

**والمَحلُّ القَابِلُ**: وهو القلبُ الحَيُّ

**ووُجِدَ الشَّرطُ**: وهُو الإصغاءُ

**وانتفَى المَانِعُ**: وهُو اشتِغَالُ القلبِ وذُهولُه عن معنى الخطاب، وانصِرافُه عنه إلى شيءٍ آخر؛ **حصَل الأثرُ وهُو الانتِفَاعُ والتَّذكُّرُ**»[2].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٤٢).

(٢) «الفوائد» لابن القيم (٣ ـ ٤) باختصار.

تفكَّر في قوله تبارك وتعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فسمَّاه ربُّ العِزَّةِ: ﴿رُوحًا﴾ وهذه الرُّوحُ لا بُدَّ أنْ تَسْرِي بين جَنباتِ صَدْرِك؛ لِتَعرفَ طريقَ الإيمانِ، وسُبُلَ النُّورِ والهُدَى والعِرْفان.

يقول تقيُّ الدين الهلاليُّ رحمه الله: «مَن قرأَ القُرآنَ لوجْهِ اللهِ على الطريقةِ التي قرأَهُ عليها أصحابُ رسُولِ اللهِ ﷺ، لا بدَّ أنْ يَخشَعَ عندَ سَماعِه وأنْ يَعمَلَ به، وأنْ يتحَاكَمَ إليه ويُحكِّمَه، ويتأدَّبَ بأدَبِه، ويستضيءَ بنُورِه.

أمَّا الذي لم يُؤمِن به، ولم يَقرأْهُ للهِ ولا على طريقةِ أصحابِ رسُولِ الله، الذين كانوا إذا تعلَّمُوا عشرَ آياتٍ لم يَتجاوزُوهنَّ حتَّى يعرِفُوا مَعْناهُنَّ والعملَ بهنَّ، بل قرَأهُ ليأكُلَ به، أو ليَفْخَرَ به، فهو جَديرٌ أنْ لا يتدبَّرَ آياتِه ولا يخشعَ ولا يتذكَّرَ ولا يتأثر، وهذِه حالُ أكثرِ قُرَّائه في هذا الزَّمانِ - لا كثَّرهُم الله - فإنَّ كثرتَهُم تُجلِبُ غضبَ اللهِ، وتُكثِرِ مِن مَعصيةِ الله، وتُبعِد عن طاعةِ الله»[1].

فاسْتشْعِر عظَمَةَ المُنزِل.. اللهِ جلَّ في عليائه.

وتدبَّر عَظَمَةَ المُنزَل؛ فقد بيَّن ربُّك الأكرمُ لك بأنَّه ﴿بُرْهَٰنٌ﴾ وسمَّاه

(١) «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (٤/ ١٧٢).

﴿نُورًا مُّبِينًا﴾ وجعله ﴿هُدًى﴾ وفيه ﴿مَّوْعِظَةٌ﴾ ﴿وَشِفَآءٌ﴾ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وهو ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾..

للهِ ما أعظمَ البركةَ لمن يَصْحب مَن هذا وَصْفُه، وتِيْك مكانته؛ فطُوْبى وألفُ طُوبى لهذه الصُّحْبة.

**ومِنْ جَزيلِ بَركتِه**: يأتي شَفِيعاً مُسْعِداً لك عندَ ربِّك! يُلْبِسُك تاجَ الكَرامةِ، ويُحَلِّيك ويُزَيِّنُك برضْوَانٍ مِن اللهِ أكبر.. «يَجِيءُ القُرآنُ يومَ القيامةِ فيقُولُ: **يا ربِّ حَلِّهِ**».

ـ **يعني**: حَلِّ صاحبَ القرآنِ مِن الحِلْيةِ والزِّينةِ ـ

«فيُلْبَسُ تَاجَ الكَرامةِ.

ثُمَّ يقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ؛ **فيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ**.

ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنهُ، فيَرْضَى عَنهُ»[1].

فتفكَّر يا مُحبُّ.. عِظَمَ منزلةِ القُرآنِ وجَلالَتِه وكرامَتِه على أهلِه.

**هَنيئاً لأهلِ القُرآنِ..**

ماذا يُقال لهم يَومَ القُدُومِ على اللهِ:

«يُقَالُ **لِصَاحِبِ القُرْآنِ** اقرأْ وارْتَقِ ورَتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّلُ في

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٠٠٨٧) مختصراً، وبهذا اللفظ الترمذي (٢٩١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو صحيح.

الدُّنيـا، فـإنَّ مَنزلَتـك عنـد آخـرِ آيـةٍ تقرَؤُهـا»[1].

## والصَّاحِبُ: مُلازِمٌ لصَاحِبه!

فمـا أشـرفَها مِن صُحْبـةٍ يَصْحبُـك القرآنُ فـي الدُّنيا والآخـرةِ.. إنْ أحسَـنْتَ صُحْبتَـه، وصَدقْتَ مُلازمَتـه ومَودَّتَه.

لقد كان دأبُ السلفِ الصَّالِح رحمهم الله مع القُرآنِ عَجباً؛ فشهرُ رمضان شهرُ القرآنِ والعَيْشِ معه.

فهذا الحسنُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما، يَصِفُ كيف كانَ الجيلُ الأوَّل يَعْتنِي بكلامِ الله تبارك وتعالى؛ يقولُ: «إنَّ مَن كان قبلَـكُم، رَأوا القُرآنَ رَسائلَ مِن ربِّهم؛ فكانوا يَتدبَّرُونها باللَّيلِ، ويَتفقَّدُونها بالنَّهار»[2].

بل حتى مَجالِس العِلْم يَفِرُّون منها، ويُقبِلُون على كتابِ اللهِ تبارك وتعالى؛ تِلاوةً، وتَدبُّراً، وتفكُّراً، وتَفهُّماً، وإنْ كانَتْ هذِه مِن مَعِين العِلْمِ ومَنازِلِه ورُتَبه.

أجل يا أُمَّة القرآنِ، ما أكرمكِ لو تَمسَّكتِ بكتاب ربِّك، لن تَضِلِّي بَعدَهُ أبداً. ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٣ ـ ٤٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٧٩٩) وأبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) وهو صحيح. من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٢٧٥).

فاسْتَمْسِك بقراءتِه وهَدْيِه وحُكْمِه ونُورِه، فلن تَعْرِف للشقاءِ طَريقاً، ولا للخَيْبةِ سَبيلا.. وتذكَّر:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠].

تاللهِ إنَّ هذه التِّجارةَ لا تَعرِفُ البَوارَ ولا الخَسارة.

وكيفَ تَخسَرُ، وقد تكفَّل ربُّ العِزَّة تبارك وتعالى مِن فَوقِ سَبْعِ سَمواتِه لها بأعظمِ الرِّبح!

## أتدْرِي قدْرَ الرِّبحِ؟

اسمَعْ لنبيِّك ﷺ إذ يقُولُ: «مَنْ قَرأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلهُ بِهِ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثالِها، لا أقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، ولكِنْ «ألِفٌ» حَرْفٌ، و«لامٌ»، حَرْفٌ، و«مِيمٌ» حَرْفٌ»[1]. الله أكبر!

كان للإمامِ الشافعيِّ رحمه الله، في كلِّ يومٍ خَتْمتان؛ خَتْمةٌ في الصَّباح، وأُخرَى في المَساءِ[2]، ترك مجلسَ الفِقْه، وانشغلَ بكلام مَولاه؛ فبارَكَ اللهُ له في صَباحِه ومَساه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، وأبو عُبيد في «فضائل القرآن» (٥) وإسناده حسن.

(٢) «آداب الشافعي ومناقبه» لابن أبي حاتم (١٠١).

هذا كتابُ اللهِ زادُ مُسافرٍ وبُرودُ ماءٍ في الهَجيرِ قِرَاحِ
أقبِلْ عليه فإنَّ في نَفحاتِه تَقْوى القُلوب وبَهْجةَ الأرواحِ

فأيُّ رَوحانِيَّة يَجِدُها الصائمُ وهُو يقرأُ آياتِ ربِّه.

يُبْصِر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

فيتلمَّسُ في اتباعِه بَصائرَ ربِّه وهُداهُ ورحمته.

ويُرتِّل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فيَرجُو رحمةَ ربِّه ومَغفرته.

ويتذكَّر: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فيَتجدَّد العهدُ والعَزْمُ للسَّبقِ والفَوْز.

ويتدبَّر: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فيَسْعَى نحو الحياةِ الطيِّبةِ التي لا تكون إلَّا في ظِلِّ طاعةِ الرَّحمن.

**نُصْحِي لك**.. وأنا آخذٌ بيَدِكَ لمَراشدِ الفلاحِ والسَّعادةِ؛ في تَدبُّر كتاب ربِّك؛ احرِصْ على قراءتِه قراءةً مُتدبِّرة قبل أنْ تكون مُتكثِّرة.

فلَقراءةُ خَتْمةٍ واحدةٍ بحضُورِ قلب وإعمالِ فِكْرٍ وحُسْنِ عملٍ، خيرٌ مِن عشرِ قراءاتٍ مُتكاثِراتٍ بدون فَهْم ولا عملٍ، وما هذا واللهِ مِن حُسْن العمل.

**فتَدبَّرِ القُرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى فالعِلْمُ تحتَ تدبُّرِ القُرآنِ**

يقُولُ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة رحمه الله: «المَطلُوبُ مِن القُرآنِ: فَهْمُ معانيهِ والعَملُ بهِ، فإنْ لَمْ تكنْ هذهِ همَّةُ حافظِه لَمْ يكن مِن أهلِ العِلْمِ والدِّين»[١].

ويقولُ الإمامُ ابنُ قيِّم الجوزيَّة رحمه الله: «**لا شيءَ أنفعُ للقَلبِ مِن قراءةِ القُرآنِ بالتَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ**؛ فإنَّهُ جامعٌ لجميعِ مَنازلِ السَّائرينَ، وأحوالِ العاملينَ، ومقاماتِ العارفينَ، وهو الذي يُورِثُ المَحبَّةَ والشَّوقَ والخوفَ والرَّجاءَ والإنابةَ والتَّوكُّلَ والرِّضا والتَّفويضَ والشُّكرَ والصَّبرَ وسائرَ الأحوالِ التي بها حياةُ القلبِ وكمالُهُ..

فلو عَلِمَ النَّاسُ ما في قراءةِ القرآنِ بالتَّدبُّرِ لاشتَغلوا بها عن كلِّ ما سواها، فإذا قرأَهُ بتفكُّرٍ حتى مرَّ بآيةٍ هو مُحتاجٌ إليها في شفاءِ قَلبهِ كرَّرَها

---

(١) «المجموع» (٢٣/ ٥٤).

ولو مِئةَ مرَّة، ولو ليلةً، **فقراءةُ آيةٍ بتفكُّرٍ وتَفهُّمٍ خَيرٌ من قراءةِ خِتْمَةٍ بغيرِ تَدبُّرٍ وتَفهُّمٍ، وأَنفعُ للقلبِ وأَدْعَى إلى حُصولِ الإيمانِ وذَوْقِ حلاوَةِ القرآن**»[1].

وهذا ابنُ الجوزي رحمه الله يَصِفُ لك عَظِيمَ أثرِ القُرآنِ على أمراضِ القُلوبِ وعِلَلِ الأجساد، فيقُولُ: «تلاوَةُ القُرآنِ تَعْملُ في أمرَاضِ الفُؤادِ ما يَعْملُهُ العَسَلُ في عِللِ الأجسَادِ، **مَواعِظُ القُرآنِ لأمراضِ القُلُوبِ شَافِيةٌ، وأدِلةُ القُرآنِ لِطَلَبِ الهُدَى كافية**»[2].

**وممَّا يُعينك على ذلك:**

١ ـ تَهيئةُ القلبِ قبلَ المكانِ لِتُنْزل فيه كلامَ العَليمِ الخبير.

٢ ـ انتقاءُ وقتَ إقبالِ الرُّوحِ وصَفْوتها على رُوْحِ القُرآنِ، واحذَرْ حالَ انشغالِ القلب.

٣ ـ احرِص على الوُضُوءِ، واستقبالِ القِبْلة فإنَّها تُعِين على ذلك، وطيِّبْ مُصحَفَك بأحبِّه لديك؛ يَزِد مِن شَوْقِك إليه، وانكِبَابِك عليه، مع بَهْجةٍ للرُّوحِ، وإنعاشٍ للقَلبِ والفِكْر.

٤ ـ فِـرَّ من حَواجِب حُسْن الفَهْم وصَوارِفِه؛ كسماع الغِنَا، أو آلات اللَّهو والمُوسِيْقى، ولا تَسْتبدِلِ الذي هُو أدنى بالذي هُو خَير؛ فتُحْرَم.

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥٥٣) بتصرف

(٢) «التبصرة» (١/ ٧٩).

٥ ـ جاهِدِ العملَ به، وامْتثِل قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١].

وتخيَّر لحياةِ قلْبِك وصلاحِه تلك الآياتِ التي هزَّته هزّاً أثناء تلاوته، واقشَعرَّ جِلْدُك لها، فتفَهَّم معناها جيِّداً، وقُمْ بها في ركعاتٍ في جَوفِ اللّيل، وكرِّر، ثم كَـرِّر.. واجعلها تَعملُ في قلبِك وروحك، واعْرِضْ نفسَك عليها، واذْكُر يومَ القُدُوم على ربِّك، وما تُحبُّ أن يكُونَ مِن حالِك بينَ يديهِ، واخشَعْ وتَخشَّع.. **تالله** لتعيشنَّ بذلك أياماً هي مِن أطيَبِ حياةِ عُمُركِ، والسَّعيدُ مَن تعاهَدَ هذا الغِذَاء لقلبه في كُلِّ ليلةٍ ولو بركعةٍ، ولا عجب! ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

٦ ـ أعْمِلِ الفِكْر بدُرْبةِ التَّدبر، وتَثْوِير المَعاني، تُرْزق حُسْن الفَهْم، وجودةَ الاستنباطِ مِن الآيات.

## ودُونَك طريقةً ناجِعةً:

ـ في قِراءةِ السُّورةِ أو الصَّفحة بتؤُدةٍ، استَخْرِج ما أُغلِق عليك فَهْمُه، ثم حاوِلْ تقييدَ ذلك في دفترٍ خاصٍّ لك تجعله لغريبِ ما مرَّ معك في قراءِتك، سُورةً سورة.

ـ واصْحَبْ تفسيراً مَوْثُوقاً مُختصَراً؛ لمَعرفةِ بيانِ المعنى للمُفرَدةِ الغريبة.

ـ ثم قيِّدِ الكلمةَ الغَريبةَ ومعناها.

وهكذا كلَّما قرأتَ ورقةً أو سُورةً تتبعتَ غريبها، وقيَّدتَ ما غابَ عنك معناها، فحينَها تَجِدُ لقراءةِ القُرآنِ مَعْنىً آخر، ولَذةً أُخرى، وحَلاوةً عَجِيبة، وستَنْتَفِعُ في هذا بأمرين:

**الأول**: أنْ تَعرِف معنى هذه المُفردةِ فيما سيأتي مِن وِرْدِك لاحقاً، إذِ القُرآن مَثانٍ، تُثنى فيه المعاني والمُفردات، وستَجِدُ أنَّك فيما بذلتَ مِن جُهدٍ سابقٍ عرفتَ مَعناها، فطابَتْ تلاوتُك، وحَسُن فَهْمُك للآية.

**والثاني**: أنَّك لن تَنْسى هذا المَعرفةَ للمُفردةِ الغريبة؛ لأنك جَهدتَ فيها، وستَذْكُرها دَوماً.

وهكذا دَوالَيْك.. ستَتعنَّى في قراءتِك الأُولى، ولكنْ بعدَ ذلك سيُنعِم الله تبارك وتعالى عليك بحَلاوةِ الفَهْم، والالتذاذِ بخطابه ما يَفُوق الوَصْف، وحِينْها ستَفْقَه كلامَ ربِّك، وتُقِيم حُرُوفه وحُدُودَه، وسَيقعُ منك القُرآنُ مَوقِعاً عَجَباً.. تِلاوةً وعَملاً.

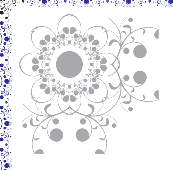
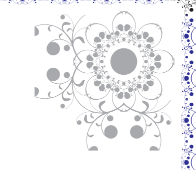
فأيُّ سعادةٍ تلقى وراء ذلك؟

**فيا أهلَ القرآن.. لسْتُم على شيءٍ؛ حتى تُقِيمُوا القرآنَ!**

رَزقنا اللهُ وإيَّاكم صُحْبَةَ القرآنِ ومَحبَّته، ونَعِيم فَهْم كتابِه، والعَملَ بأحكامِه وآدابِه.

**اللَّهُمَّ اجعَلْنا مِن أهلِ القُرآنِ؛ أَهْلِ اللهِ وخَاصَّتِه.**

❁❁❁



صلاةُ القيامِ أثابكُمُ اللهُ..

صلاةُ التَّراويح رَوْحةٌ مِن الجنَّة في الدُّنيا، ويا نِعْمةَ الأعمارِ في القيامِ بين يدي الواحدِ الغفَّار.

ويا خَيْبةَ الغافلِ المُقيمِ عن شُجُونِ هذا النَّعيم!

كلُّ امرئ يسعى للشَّرفِ والسُّؤددْ، وشرفُ الدُّنيا ليس له في ميزانِ الله تبارك وتعالى مِن خَلاقٍ؛ إنَّما الشرفُ الحقيقيُّ؛ الذي يَتحلَّى به المسلمُ والمسلمةُ؛ هو: قيامُ اللَّيل.

**«واعلم أنَّ شرَفَ المُؤمنِ؛ قيامُه باللَّيل»**[1].

| | |
|---|---|
| وكم حَنَنْتُ لسَجداتٍ أقولُ بها | سُبحانَ ربِّي وأدْعُوه بعَلْياهُ |
| ويا لِشَوْقي إلى وِتْرِ القُنوت به | أدعو الكريمَ الذي عمَّتْ عطاياهُ |
| أدعُوه والدَّمعُ بالعينينِ مختنقٌ | والقلبُ مُحترَقٌ ممَّا شَهدناهُ |

فما أنْعمَ التَّوفيقَ حين يُوفَّق المرءُ للقيامِ ليلاً والنَّاسُ نيام، وَيقصِدُ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠) والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٩) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.
وراجع: «السلسلة الصحيحة» للألباني (١٩٠٤).

بيتاً من بيوت الله تبارك وتعالى، يُقِيم ليلَه، ويُناجي ربَّه، ويُحْيِيه بالذِّكْر والثَّناء، والخشية والبكاء؛ مع المُتهجِّدين الرَّاكعين السَّاجدين.

في لَيلِهم يُصلُّون، وتُذْرفُ العُيون، ويَصِلُون ويتصدَّقُون.

فيا لعَظَمة تلك اللَّيالي العامرة، والربُّ يَنزلُ في كلِّ ليلةٍ مِن عليائه بما يَليق بجلالِه، يُنادِي: «**مَن يَدْعُوني؛ فأستجيبَ له؟ مَن يَسألُنِـي؛ فأُعطِيَه؟مَن يَستغفِرُني؛ فأغفرَ له؟**»[1].

للهِ ما أبهى القيامَ حين نادى الإلهُ عبدَه المُزَّمِّل: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٢ ـ ٦].

فـي تِيْـك السَّـاعاتِ المَهِيبةِ، حيثُ قَـرارُ النَّفـسِ، وسَـكينةُ الرُّوحِ، وطمأنينـةُ الفُـؤادِ، نـاداه لِيُعَـدَّ للأمـرِ الجَلَـل؛ ولِتَنْهـضَ النَّفسُ بأعباءِ الرِّسـالةِ، وأداءِ الأمانَـةِ.

وأنت امْتثِلْ للأمر الإلهي، واقْتَبِسْ من النُّور الرَّباني، فهو هَدْي المُتَّقين، ودَأْبُ الصَّالحين، وشِعارُ المُحسِنين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) (١٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فكأنِّي بهم، وقد عادُوا إلى بُيوتِهم، وقد غُفِرت ذُنُوبُهم، وانشرَحتْ صُدورُهم، عادوا ووجُوهُهم كالبَدْرِ قد سطعَ في ليلةٍ ظَلْماء؛ امتثالاً وحُباً لنبيِّهم ﷺ إذْ رغَّبهُم: «**مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا؛ غُفِر له ما تقدَّم مِن ذَنْبه**»(1).

قال الحسن رحمه الله: ما نعلمُ عملاً أشدَّ مِن مُكابدة اللَّيل.

فقيل له: ما بالُ المُتهجِّدين مِن أحسن النَّاسِ وُجوهاً؟

قال: لأنهم خَلوْا بالرَّحمن؛ **فألْبَسهُم نُوراً مِن نُورِه**(2).

وقال عطاء الخُراساني رحمه الله: كان يُقال: قيامُ اللَّيلِ مَحْياةٌ للبدنِ، ونُورٌ في القلبِ، وضياءٌ في البصرِ، وقُوةٌ في الجَوارحِ.

وإنَّ الرجلَ إذا قامَ مِن اللَّيل مُتهجِّدًا: أصبحَ فَرِحاً يجدُ لذلك فَرَحاً في قلبِه، وإذا غلبَتْهُ عيناهُ فنام عَن حِزْبه: أصبحَ حَزِينًا مُنكسِر القلبِ، كأنَّه قد فَقد شيئًا، وقد فَقد أعظمَ الأمور له نَفعاً(3).

إنَّها ليالٍ **للشُّرَفاءِ الكُمَّل**، خالِصةٌ خاصَّة، قد آنَ لقلوبهم في هَجْعةِ اللَّيل أنْ تَسبَح في مَلكُوتِ اللهِ، تُقطِّع اللَّيلَ تَسْبِيحاً وقُرآنا، ﴿**أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧) ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٥٥)

(٣) «مختصر قيام الليل» لابن نصر المروزي (٦٧).

**ومِن جَمِيلِ هذا الشَّرفِ أنه يُفْضِي إلى رَحمةِ الله تبارك وتعالى:**

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾

[الزمر: ٩].

في هَذِه اللَّيالي الفَيَّاضَةِ بالرَّحماتِ والبَركاتِ، ليلةٌ أَرَّقتْ قُلوبَ المُحبِّين؛ وتاقَتْ لها أنفُسُ الطَّائعين..

أرأيت نَعِيماً وإحساناً يُكافَأُ به المَرءُ لعقودٍ طويلةٍ، مُقابِلَ قيامِ ليلةٍ واحدةٍ في بِضْع ساعاتٍ قليلة، ومرَّةً في العام؟!

أَكُلُّ ذلك فَضلٌ وإحسانٌ مِن ربِّنا الرَّحمن؟!

**واهاً لجَلالةِ هذه اللَّيلة**.. أيُّ ليلةٍ هِيْ؟!

اسمَع لربِّك يُخبرك بكريمِ عَطاياهُ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾

[القدر: ٣].

طِرْ بعَقْلِك بعيداً.. وأَرْكِضْ خُيولَ فِكْرك في هذا الجزاء الكريم، وقل:

**يا نفسُ**.. هاتِه المَنقبةُ الكُبرى، والسَّعادةُ العُظْمَى؛ فاهْرَعِي لنَيْلِها، واجتهدي لإدراكِ فَضْلِها.

**فيا قوم**.. أعِدُّوا العُدَّة لها، وتأهَّبُوا للظَّفرِ بها فمَنْ حَظِي بها فقد نالَ خَيراً كثيراً مُباركاً، فارْقُبوها في أَوْتارِ العَشْرِ وألْهجُوا بالثَّناء والدُّعاءِ:

**«اللَّهُمَّ إنَّك عَفُوٌ تُحبُّ العَفْو؛ فاعْفُ عنَّا»**

فإنَّها وَصِيَّةُ نَبِيِّـكُم لأحبِّ نسائه[1]، ونِعْمت الوَصِيَّة.

بل مِن أسْمَى المِنَن عليك فوقَ هذه المِنَّة، إنْ وُفِّقتَ لقيامِها إيماناً واحتِسَاباً ـ وتَوفيقُ الوهَّابِ عَزيزٌ ـ نِلْتَ مَغْفرةً لِمَا تقدَّم مِن ذنبك! فأيُّ سَعْدٍ هذا لماضِيْك وحاضِرِك، وأيُّ فوزٍ ورِبْحٍ أعظمُ مِن ذلك؟! فواللهِ مَن حُرِمَها؛ فقد حُرِمَ الخير الكثير.

ومِنْ مقاصِدِ هذا القِيَامِ ـ بل هُو مِن أجلِّ مَقاصِدِ صلاة التَّراويح ـ أنْ يسمعَ الناسُ كلامَ ربِّهم تبارك وتعالى في صَلاتِهم وقيامِهم، فيَعملَ بهم.

يقولُ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رحمه الله: «قِراءةُ القرآنِ في التَّراويح فمُستحبٌّ باتفاقِ أئمَّةِ المسلمين، بل مِن أجلِ مَقصُودِ التَّراويحِ؛ قراءةُ القرآنِ فيها؛ لِيَسمع المُسلمُون كلامَ الله»[2].

| | |
|---|---|
| يا نَفسُ فازَ الصَّالِحونَ بالتُّـقَى | وأبَصرُوا الحقَّ وقلبي قَدْ عَمِي |
| يـا حُسْـنَهم واللَّيْلُ قـد أجنَّهُم | ونُورُهـم يَفُـوق نُـورَ الأنْجُـمِ |
| تَرنَّمُـوا بالذِّكْـر فـي لَيلِهِـمُ | فعَيْشُـهم قـد طـابَ بالتَّرنُّـمِ |
| قُلوبُهـم للذِّكـرِ قـد تَفرَّغـتْ | دُمُوعُهـم كلُؤلُـؤٍ مُنْتَظِـمِ |
| أسـحارُهُم بنورهم قد أشرَقَتْ | وخِلَـعُ الغُفـرانِ خيـرُ القِسَـمِ |

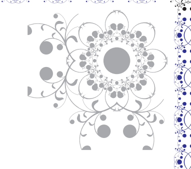
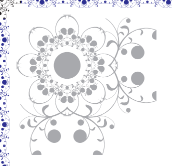
**فهَذِه حياةُ رُهْبان اللَّيل.. وما يَعْقِلُها إلَّا العالِمُون.**

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٣٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها وهو صحيح.

(٢) «مجموع الفتاوي» (٢٣/ ١٢٢)



# خُلُقُه القُرآن

الأخَلاقُ الحَسَنةُ ينبغي أنْ تكُونَ سِمَةَ كلِّ مُسلمٍ ومُسلِمةٍ، وقد امتدحَ اللهُ خُلُقَ نبيِّه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقالتِ عائشةُ **رضي الله عنها**: «كان خُلُقُه القُرآنَ»(١).

والعَبدُ في تأهُّبِهِ للقَاءِ ربِّه، يَفْتقِرُ لزادٍ ثقيل، وعَملٍ جليلٍ.

ألا أحْبُوكَ بما يدلُّك على ذلِك؟

عن أبِي الدَّرْدَاءِ **رضي الله عنه**، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «ما مِنْ شيءٌ أثقلُ في مِيزَانِ المُؤمنِ يومَ القِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»(٢).

بل هُو عُلامةُ **كمالِ إيمانِك**..

عن أبي هُريرةَ **رضي الله عنه** قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «أكملُ المُؤمِنينَ إيماناً أحسَنُهُم خُلُقاً»(٣).

وإذا كان العَبدُ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه مَرْتبةَ الصَّائمِ القَائمِ(٤)، فكيفَ

---

(١) انظر: «جامع البيان» للطبري (٢٩/ ١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٥٥٣) والترمذي (٢٠٠٢) واللفظ له وهو صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٠١٠٦) وأبو داود (٤٦٨٢) وهو صحيح بطرقه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) وابن حبان «الإحسان» (٤٨٠) وهو صحيح.

بـه إذا جَمعَ معه الصِّيام والقيـام؟!. ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥].

فـإذا حـرَصَ المرءُ علـى الاقتداءِ والتأسِّـي بالمصطفى ﷺ فـي هَدْيِه وخُلُقِه وتَعامُلِه وكلِّ أمرِه؛ «**رُزِق محبَّة الرَّسـولِ ﷺ**، واسـتولَتْ رَوحانيَّتُه على قلبه؛ فجعله إمامَه، ومُعلِّمَه، وأستاذَه، وشَيْخَه وقُدْوتَه؛ كما جعله اللهُ نبيَّـه ورسُـولَه، وهادِيـاً إليـه؛ فيُطالِعُ سِـيْرته، ومبـادئ أمره وكيفيَّـة نُزول الوحـي عليه، ويَعـرفُ صفاتـه، وأخلاقَه، وآدابه فـي حَركاتِه، وسُـكُونِه، ويَقظَتِـه، ومَنامِـه، وعبادتِـه، ومُعاشـرتِه لأهلـه، وأصحابـه؛ حتـى يَصِيـر كأنَّـه معـه مِن بعـض أصحابـه»[1].

وهكذا الصَّائمُ يَمتَثِلُ هَدْيَ القُرآنِ وخُلقَ نَبيِّه ﷺ في حَياتِه وسُلُوكِه؛ ليكُونَ زَاداً له يومَ القُدُومِ على ربِّه.

والصِّيامُ يُربِّي المُسلِمَ على الخُلُقِ الحَسَن، ومَعالِي الأُمورِ وشَرِيفها، فَفِي مَدْرسةِ الصَّومِ؛ تَزكُو النُّفُوسُ، ويَستقِيمُ السُّلوكُ، وتَنبعِثُ الأخلاقُ الفاضِلةُ؛ فتَنزِلُ الرَّحماتُ، وتَعُمُّ السَّكناتُ.

وبالصِّيامِ؛ تَعْلُو الهِمَّةُ، وتَقْوى الإرادةُ، وتَنْشطُ العَزِيمةُ، وتَسمُو الرُّوحُ نحو المَعالِي؛ إذِ الصَّومَ يُحرِّكُ في نُفُوسِ أبنائه كلَّ خيرٍ، ويَكْبحُ جِمَاحَ كلِّ شَرٍّ، فتَراهُم مَشاعِلَ نُورٍ، وقُدوةً صالِحةً في مُجتَمَعِهم.

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٦٨).

أمَّا وإنْ فاتَتْ هذه الفَضائلُ عنِ الصَّائمِ، ولم يَرْفعْ بذلك رأسَهُ، فأخْشَى أنْ يكُونَ حالُهُ غيرَ مَحمُودٍ!

عن أبِي هُريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[1].

الصومُ جُنَّةُ صائمٍ مِن مَأثمٍ ... يَنْهى عنِ الفَحشاءِ والأوْشابِ

الصومُ تَصْفِيدُ الغرائزِ جُملةً ... وتحرُّرٌ مِن رِبْقةٍ برقابِ

ما صامَ مَن لَمْ يَرْعَ حقَّ مُجاوِرٍ ... لأخيهِ أو لِقَرابةٍ وصِحابِ

ما صامَ مَن أكل اللُّحومَ بغِيْبَةٍ ... أو قالَ شرَّاً أو سَعى لِخَرابِ

ما صامَ مَن أدّى شَهادةَ كاذبٍ ... وأخلَّ بالأخلاقِ والآدابِ

فِملاكُ التَّحلِّي بالأخلاق الفاضلة.. يَكْمُنُ في: الصَّبر، ومُجاهدةِ النَّفس، وطَلب المَعالي، والتَّرفُّعِ عن الدَّنايا، والشَّجاعةِ على التَّغيير مِن نَفسِك وطبعِك وخُلُقِك؛ فلْيَصهرْ هذا الشهرُ نفسَك وذاتَك؛ تَفُزْ بما عَسُر عليك في غيره.

وإذا أراد الله تبارك وتعالى بعَبْدِه خيراً حَسَّن خُلُقه، وشرحَ صدْرَه، وجعلَه رَحيماً رفيقاً بعباده المؤمنين.

فليكن هذا الشهرُ خيرُ زادٍ لك في إصلاحِ نَفْسِك وسَرِيرتك..

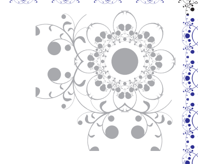
---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣).

يقول ابنُ الجوزي رحمه الله: «**فمَنْ أصلَحَ سَرِيرتَه؛ فاحَ عَبيرُ فَضْلِه، وعَبقتِ القُلوبُ بنَشرِ طِيْبِه.. فاللهَ اللهَ في إصلاحِ السَّرائرِ؛ فإنَّه ما يَنفعُ مع فَسادِها صَلاحُ الظَّاهِر**»[1].



(١) «صيد الخاطر» (٢٨٧).



التَّخْلِيةُ معَ الرَّبِّ مِن أجمَلِ سَعاداتِ القَلبِ، وأيُّ صَلاح وأُنْسٍ للقَلْبِ أعظَمُ مِن اللُّبْثِ عندَ عَتبةِ الرَّبِّ؟ وقَدْ أكسَبَهُ العِزَّةَ، وأدْخلَهُ بُستانَ العَارِفينَ، وارْتقَى بهِ في مَنازِلِ السَّائرينَ؛ فليتَ شِعْرِي أينَ نحنُ مِن حَالِ المُخْبِتين؟

لقد كانَ مِن هَدْي نبِّيك ﷺ ـ يا مُحبُّ ـ إحيَاءُ لَيالي العَشْرِ الآخرةِ بالخَلْوةِ والاعتِكاف.

فعَن عبدِ اللهِ بنِ عُمرَ رضي الله عنهما، قال: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ[1].

وتُخْبِرُ زَوْجُه عائشةُ الصِّدِّيقةُ رضي الله عنها فتقُولُ: كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَجْتهِدُ في العَشْرِ الأَواخِرِ ما لا يَجْتهِدُ في غَيرِه[2].

**والحِكْمةُ في ذلك**.. هُو الْتِماسُ تِيْك اللَّيلةِ المَهِيبةِ؛ **لَيْلَةَ القَدْرِ**.

و«لمَّا كانَ صَلاحُ القَلْبِ واسْتِقامَتُه على طَرِيقِ سَيْرِه إلى اللهِ تعالى، مُتَوقِّفًا على جَمْعِيَّتِه على اللهِ، ولمِّ شَعَثِه بِإقْبالِه بالكُلِّـيَّةِ على اللهِ تَعالى، **فَإنَّ شَعَثَ القَلْبِ لا يَلُمُّه إلَّا الإقْبالُ على اللهِ تَعالى**، وكانَ فُضُولُ الطَّعامِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١١٧١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٥٢٨) ومسلم (١١٧٥).

والشَّرابِ، وفُضُولُ مُخالطَةِ الأنامِ، وفُضُولُ الكلامِ، وفُضُولُ المَنامِ، مِمَّا يَزِيدُه شَعَثًا، ويُشَتِّتُه في كُلِّ وادٍ ويَقْطَعُه عن سَيْرِه إلى اللهِ تَعالى، أوْ يُضْعِفُه أوْ يَعُوقُه ويُوقِفُهُ؛ اقْتَضَتْ رَحْمَةُ العَزِيزِ الرَّحِيمِ بِعِبادِه أنْ شَرَعَ لهُمْ مِنَ الصَّوْمِ ما يُذْهِبُ فُضُولَ الطَّعامِ والشَّرابِ، ويَسْتَفْرِغُ مِنَ القَلْبِ أخْلاطَ الشَّهَواتِ المُعَوِّقَةِ لهُ عن سَيْرِه إلى اللهِ تَعالى، وشَرْعِه بِقَدْرِ المَصْلحَةِ، بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهِ العَبْدُ فِي دُنْياهُ وأُخرَاهُ، ولا يَضُرُّه ولا يَقْطَعُه عن مَصالِحِه العاجِلةِ والآجِلةِ.

وشَرَعَ لهُمُ الاعتِكافَ الذي مَقْصُودُه ورُوْحُه **عُكُوفُ القَلْبِ على اللهِ تَعالى، وجَمْعِيَّتُه عليه، والخَلْوةُ بِهِ، والانقِطاعُ عَنِ الاشْتِغالِ بِالخَلْقِ، والاشتِغالُ بِه وحْدَهُ سُبْحانَهُ** بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُه وحُبُّهُ، والإقبالُ عليه في مَحلِّ هُمُومِ القَلْبِ وخَطَراتِهِ؛ فَيَسْتولِي عليه بَدَلها، ويَصِيرُ الهَمُّ كُلُّه بِهِ، والخَطَراتُ كُلُّها بِذِكْرِهِ، والتَّفكُّرُ في تَحْصِيلِ مَراضِيهِ وما يُقرِّبُ منه فَيصِيرُ أُنْسُه بِاللهِ بَدَلًا عن أُنْسِه بِالخَلْقِ، فيُعِدُّه بِذلك لأُنْسِه بِه يومَ الوحْشَةِ في القُبُورِ حِينَ لا أنِيسَ لهُ، ولا ما يَفْرَحُ بِه سِواهُ، فَهذا مَقصُودُ الاعتِكافِ الأعْظَمُ»[1].

وإذا لَزِمَ الرَّجلُ مَعْتكَفَهُ، انصَرَف عنِ الشَّواغلِ والصَّوارِفِ والخَطَفةِ، فتَوافَدتْ عليه العِبادَاتُ والطَّاعاتُ.. تَتسابَقُ خَواطِرُ الخَيرِ والمَعروفِ

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٨٢)

على قَلْبِه؛ لِمَا اعتَادَتْ ذلك مِنْه، وأَلِفَتْهُ عليهِ؛ فتَراهُ مِن سَعْدِه وأُنْسِه وحُسْنِ تَوفِيقِ اللهِ تبارك وتعالى له؛ يَجْمعُ عِباداتٍ شتَّى في عبادةٍ واحِدةٍ.

يقُولُ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمه الله: «الكَمالُ فِي امْتِلاءِ القَلْبِ مِنَ الخَواطِرِ والإِراداتِ والفِكْرِ في تَحْصِيلِ مَراضِي الرَّبِّ تَعالى مِنَ العَبدِ ومِنَ النَّاسِ، والفِكْرِ في طُرُقِ ذلك والتَّوصُّلِ إِليْهِ.

**فأكْمَلُ النَّاسِ أكثرُهُم خَواطِرَ وفِكَـراً وإرَاداتٍ لذلك**، كَما أنَّ أنْقصَ النَّاسِ أكثرُهُم خَواطِرَ وفِكَراً وإِراداتٍ لِحُظُوظِه وهَواهُ أينَ كانَتْ، واللهُ المُستَعانُ.

وهَذا عُمرُ بنُ الخَطابِ رضي الله عنه كانت تَتزاحَمُ عليهِ الخَواطِرُ فِي مَراضِي الرَّبِّ تَعالى، فَرُبَّما اسْتَعْملها في صَلاتِه؛ فكانَ يُجهِّزُ جَيْشَهُ وهُو في الصَّلاةِ، فَيكُونُ قَد جَمَعَ بين الجِهادِ والصَّلاةِ!

وهَذا مِن بابِ تَداخُلِ العِباداتِ فِي العِبادَةِ الواحِدَةِ، **وهُو بابٌ عَزيزٌ شَرِيفٌ، لا يَعرِفُه إلَّا صادِقُ الطَّلَبِ، مُتَضَلِّعٌ مِنَ العِلْمِ، عالِي الهِمَّةِ**، بحيثُ يَدْخُلُ في عِبادَةٍ يَظْفَرُ فيها بِعِباداتٍ شَتَّى، وذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشاءُ»[1].

فهل سَمِعتَ بفِقْهٍ للعَملِ كحُسْنِ فِقْهِ قَوافِلِ الدَّاخِلين على الله.

---

(١) «الـداء والـدواء» لابـن القيم رحمـه الله (٣٦٢). وانظـر قول عمر رضـي الله عنه في البخـاري بين يدي الحديـث (١٢٢١).

## فيا مَنْ يَبْغِي صَلاحَ قَلْبِه..

في قَلْبِك «شَعَثٌ، لا يَلُمُّه إلَّا الإقْبالُ على اللهِ تَعالى»[1]؛ وفيه عَبَثٌ، لا يُزيلُه إلَّا قطعُ العَلائقِ عنْ كلِّ الخَلائقِ؛ فاقْصِدْ مَوْلاك، وَجرِّدْ قلْبَك له مِن كلِّ شَيءٍ، وذُقْ حَلاوةَ مُناجَاتِه، وعِش نُزُولَ رَحماتِه، ونَعِيمَ كرامَاتِه، واعْزِمْ على صَلاحِ أمْرِك، بتفَقُّدِ قَلْبِك، ونَفْسِك، وعَمَلِك، فمَا كان للهِ فَثَمَّرْهُ لا يَنْقطِعْ، وما كانَ لغَيْرِه؛ فاهْرُبْ عنه، واتْرُكه وَارَءكَ ظِهْريّاً.

## ويُعِينُك على ذلك..

**تخيَّرْ مَسْجِداً تكُون فيهِ غَرِيباً**؛ فهُو أدْعى لإخْلاصِك، واستِثْمارِ أوْقاتِك فانْشَطْ لِنَفْسِك، ورُمْ زكاةَ قلْبِك، ولا تَخْدعنَّ نَفْسَك بلُزُومِ المُعْتكَفْ، وقلْبُك معَ الشَّواغِلِ قدِ انصَرَفْ!

**ونوِّعْ في العِبادَةِ** وتَلمَّسْ نَقاءَ رُوْحِك وإقبالِ قَلْبِك، فأقْبِل على كِتَابِ ربِّك، واسْتَزِدْ منه نُوراً وهُدَىً وشِفَاءً، فإنْ دَاهمَك الكَلَلُ، فجَدِّدِ الوُضُوءَ، وقُمْ لِمِحْرَابِ الله في رَكْعتَيْنِ تُعالِجُ فيها كَسَلَ نَفْسِك، واقْرَأ فِيْهما أحبَّ ما يتلذَّذُ القَلبُ؛ لِتَنْشطَ النَّفسُ بذلك، وعِش فيها وكأنَّ ربَّك يُخاطِبك..

---

(١) مستفادةٌ من قول الإمام ابن القيم رحمه الله «زاد المعاد» (٢/ ٨٢).

ثُـمْ أحْسِـنْ رُكوعَـك، وأَطِـلْ سُـجودَك، وتَلمَّـس مَحـابَّ دَعواتِك؛ فادْعُ لنَفْسِـك بصَلاحِهـا وزَكاتِها وهِدَاياتِها ورِزْقِها وسَـعادَتِها، ولأهْلِك، ولأهْـلِ الفَضْلِ عليـك ثُمَّ لِمَـنْ تُحبُّ.

وليَكُـنْ حالُـكَ، كما قـالَ عَطاءٌ رحمـه الله: مَثلُ المُعتكِـفِ؛ كرَجُل لـه حَاجـةٌ إلـى عَظِيمٍ؛ فجَلـسَ علـى بابِه يقُـولُ: لا أَبْـرحُ حتَّـى تُقْضَى حَاجَتِي.

وكذلك المُعتكِفُ، يَجْلِسُ في بيتِ اللهِ، يُناجِي ربَّه ومَولاه، ويَقُولُ: لا أَبرَحُ حتَّى يَغفِرَ اللهُ لي[١].

**وتَعاهَدْ قلْبَك بذِكْرِ اللهِ تبارك وتعالى** ثناءً وتَسْبيحاً، وذِكْراً وتَمْجِيداً، وتَضرُّعاً واسْتِغفَاراً؛ يُضْفِي على رُوْحِك وقَلْبِك سَكِينةً ورَاحةً، وقُوَّةً وعافيةً، وسَعادةً وانشِرَاحاً.

**يا أُخيَّ**.. ما أنتَ إلَّا عابِرُ سَبيل سَتَمْضِي.. فامْضِ إلى غَايةٍ لا تَغِيبْ، وسارِعْ إلى مَقْصدٍ لا يَخْفى، واسْعَ إلى نَهايةٍ لا تَضِل.

فإنْ لم تَنْفردْ بنَفْسِك معَ ربِّك في العَشْرِ الأواخِرِ، فمتى؟

إنْ لَمْ تَخْلُ بمَولاكَ؛ والنَّفْسُ مُقبِلةٌ إليهِ، رَاغبةٌ فيما عِنْده فمتى؟

قَدْ سارَ الرَّكبُ، وأَوْشَكتِ القَافِلةُ أنْ تَصِلْ؛ فانْضمَّ إليهِم، وتَربَّى

---

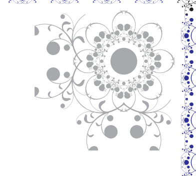
(١) انظر: «الاختيار لتعليل المختار» للموصلي (٢/ ٤٢٣).

على مَعِيْنهِم؛ فهُم ترَبَّوا على أَعْيُنِ النُّبواتِ؛ فإنْ فَعلْتَ؛ فقد رُجِي لِقَلْبك أنْ يَذُوقَ طَعْمَ حُبِّ اللهِ تبارك وتعالى، والأُنْسِ به، فيَنْصَلِح قلْبُك، وتَطيب نَفسُك، فإنْ ذُقتَ؛ فقُلْ للأنامِ:

مَيلُ القُلوبِ إلى سِوَى اللهِ حَرامٌ[1].



(١) أعني: الميل المطلق، لا ما هو من غرائز النفس البشرية والفطرة السَّوية.




## ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الدُّعاءُ مُناجاةُ العبدِ لِربِّه، يَقِفُ بين يَدَيْه، يَتضَرَّعُ في مَسْألتِه، يَتخَشَّعُ في مُناجاتِه، يُنادِي رَبَّهُ في خَلواتِه.

يا رَبِّ.. يا رَبِّ.. عَبدُكَ مُفْتقِرٌ إليكَ في حَركاتِه وسَكَناتِه.

عَبدُكَ مُقْبِلٌ إليكَ ساكِبٌ لك عَبراتِه.

عَبدُكَ شَاكٍ أَلَمَ قَلْبِه وحُرُقاتِه.

لَكَ خَضَعْ.. وفِيكَ ذَلَّ، ومَعكَ اعْتَزَّ.. وبِكَ انتَصَرْ، فَقَرِّبْهُ مِنْ رَحماتِكَ.. وامْنَحْهُ خَيْراتِكَ، وأَسْبِغْ عليهِ مِنْ نَعْمائكَ.

للهِ ما أعظَمَ شَأنَ الدُّعاءِ، وما أَكْرَمَهُ على اللهِ تبارك وتعالى، للهِ ما أسْمَى الدُّعاء وما أحْلاهُ، والعَبْدُ رافِعٌ يَدَيْهِ لِرَبِّه قَدْ ناداهُ، وبِدَمْعِ العَيْنِ حاكاهُ وناجاهُ:

**أُناجِيكَ في لَيْلِي وفي العَيْنِ أدْمعُ**
**وما لِيَ إلَّا رحمةٌ منكَ تَشفعُ**

أَأَدْعُـوكَ جَهْـراً أَمْ أُنَاجِيـكَ خُفْيـةً؟

وأَنْـتَ لِزَحْـفِ الظِّـلِّ والنَّمْـلِ تَسْـمَعُ

إِلَهِـي إِنْ كانَـتْ ذُنُوْبِـي كَثِيـرةً

فَعَفْـوُكَ يـا اللهُ لِلذَّنْـبِ أَوْسَـعُ

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾:

هذه الآيةُ جاءَتْ بعدَ آياتِ الصِّيامِ.. فتأمَّل سِرَّ دُخُولِها بينها.

ألا تَشعُرُ معي يا أُخيَّ.. أنَّ هذا التَّناسُبَ بينَ الصِّيامِ والدُّعاءِ غايةٌ في الدِّقةِ، لاسيَّما وأنَّ الدُّعاءَ قَرْعٌ لأبوابِ السَّماءِ؟

أليس المُؤمنُ في حاجةٍ أنْ يَسألَ ربَّه القَبُولَ لأعمالِه الصَّالحةِ؟

كلُّنا يعلمُ أنَّ شهرَ رمضانَ هُو مَجمَعُ العِبادَاتِ والقُرُبات؛ ولذلك كان نَبيُّنا ﷺ يَخُصُّه بمَزيدٍ مِن العبادَةِ معَ الاجتهادِ فيها؛ إذ هُو مَزْرعةُ الخَيراتِ والطَّاعاتِ.

ولا شكَّ أنَّ هذا أحْوجُ ما يكُونُ إليه العبدُ لأنْ يَرفعَ أكُفَّ الضَّراعةِ يَدْعُو ربَّه ويُناجِيْه في قَبولِ عَملِه، بل يَجِبُ عليه الإلحاحُ في دَعواتِه وخَلواتِه ومُناجَاتِه أنْ يتقبَّل منه، ويُيَسِّره للخيرِ والهُدَى والتَّوفيقِ والنِّعمِ، ويَصْرفَ عنه السُّوءَ والنِّقَم؟

يَقولُ الأستاذُ سَيِّد قُطب رحمه الله: «﴿قَرِيبٌ﴾ أيَّةُ رِقَّةٍ؟ وأيُّ

انعِطافٍ؟ وأيَّـةُ شَفافِيَّـةٍ؟ وأيُّ إيناسٍ في ظِلِّ هذا القُرْبِ؟

وفي كُلِّ لَفظٍ في التَّعْبيرِ في الآيةِ كُلِّها تِلْك النَّداوةُ الحَبيبةُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ إضافةُ العِبادِ إليهِ، والرَّدُّ المُباشِرُ عليهِم مِنهُ.

لم يَقُلْ: «فقُلْ لهم إنِّي قريبٌ»؟

إنَّما تَولَّى بذاتِه العَليَّةِ الجوابَ على عِبادِه بمُجَرَّدِ السُّؤالِ.

﴿قَرِيبٌ﴾.

ولَمْ يَقُلْ أسْمعُ الدُّعاءَ، إنَّما عَجَّلَ بإجابةِ الدُّعاءِ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

إنَّها آيةٌ عَجِيبةٌ، آيةٌ تَسْكُبُ في قَلْبِ المُؤْمِنِ النَّداوةَ الحُلْوةَ، والوُدَّ المُؤْنِسَ، والرِّضَى المُطَمْئنَ، والثِّقةَ واليَقِينَ، ويَعِيشُ منها المُؤمنُ في جَنابٍ رَضِيٍّ، وقُرْبَى نَدِيَّةٍ، ومَلاذٍ أمِينٍ، وقَرارٍ مَكِينٍ»[1].

كم في الدُّعاءِ مِن لُطْفٍ بالنَّفسِ، وراحةٍ للقَلب، فإذا لَهَجَ العبدُ بهذا الدُّعاء: «اللَّهُمَّ رَحمَتَكَ أرْجُو، فَلا تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي طَرْفةَ عَيْنٍ، وأصْلِحْ لي شَأْنِي كُلَّهُ، لا إلَهَ إلَّا أنْتَ»[2].

---

(١) «في ظِلال القرآن» (١/ ١٧٣) بتصرفٍ.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٤٣٠)، وأبو داود (٥٠٩٠) والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٢) وهو حسن.

يَجِدُ في نَفْسِه طَمأنينةً وسَكِينةً وتَفاؤُلاً بحُسْنِ الحالِ.. مع بَذْلِه أسبابِ تَحْقيقِ ذلك..

يقول السَّعدِيُّ رحمه الله: «ومِنْ أنْفَعِ ما يَكُونُ في مُلاحَظةِ مُسْتَقْبَلِ الأُمُورِ، اسْتِعْمالُ هذا الدُّعاءَ الَّذِي كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِ، فإذا لَهَجَ العَبدُ بهذا الدُّعاءِ الَّذِي فيهِ صَلاحُ مُسْتَقْبَلِهِ الدِّينِيِّ والدُّنْيَوِيِّ بقَلْبٍ حاضِرٍ، ونيَّـةٍ صادِقةٍ، مَعَ اجتِهادِه فِيما يُحَقِّقُ ذلكَ؛ حَقَّقَ اللهُ لَهُ ما دَعاهُ ورَجاهُ وعَمِلَ لَهُ، وانقَلَبَ هَمُّهُ فَرَحاً وسُرُوْراً»[1].

**عَجَباً للدُّعاءِ.. فمَهْما دَعوتَ فلنْ تَعُودَ صِفرَ اليَدينِ!.**

أمَا قالَ نَبيُّكَ ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بدَعْوةٍ لَيْسَ فيها إثْمٌ، ولا قَطِيعةُ رَحِمٍ، إلَّا أعْطاهُ اللهُ بها إحْدَى ثَلاثٍ:

١ ـ إمَّا أنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوتُهُ.

٢ ـ وإمَّا أنْ يَدَّخِرَها لَهُ في الآخِرةِ.

٣ ـ وإمَّا أنْ يَصْرِفَ عَنْهُ منَ السُّوءِ مِثْلَها»[2].

فإذا رَفَعَ الدَّاعِي يَدَيْهِ إلى اللهِ، ونادَى مَوْلاهُ، وألَحَّ في دُعائِهِ، واسْتَجْمَعَ مَفاتِيحَ القَبُولِ؛ وتَوقَّى أسْبابَ المَنْعِ والرَّدِّ؛ أجابَ اللهُ دَعْوتَهُ، ولَبَّى لَهُ مُنْيَتَهُ، كَيْفَ لا، وهُو أكْرَمُ الأكْرَمينَ، ومِنْ كَرَمِهِ أنْ لا يَرُدَّ يَدَيْنِ

---

(١) «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (٢١) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١١١٣٣) وهو صحيح.

رُفِعَتا لَهُ خائبَتَيْنِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ «إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إذا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أنْ يَرُدَّهُما صِفْراً خائبَتَيْنِ»[1].

**وفي شَرفِ زَمانِ رمضانَ لن تجدَ أجمعَ للخَيرِ مِن الدُّعاء.**

يقُولُ مُطرِّفٌ رحمه الله: تَذاكَرْتُ ما جِماعُ الخَـيْرِ؟

فإذا الخَيرُ كَثِيرٌ: الصَّوْمُ، والصَّلاةُ، وإذا هو في يَدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإذا أنْتَ لا تَقْدِرُ على ما في يَدِ اللهِ عزَّ وجلَّ إلّا أنْ تَسْأَلَهُ؛ فَيُعْطِيَكَ؛ فإذا جِماعُ الخَيْرِ: **الدُّعاءُ**[2].

**فحَرِيٌّ بالصَّائمِ القائمِ، العَابِدِ السَّاجِدِ:** أنْ يَسْتحثَّ نفْسَه دَوْماً على الدَّعاءِ ولاسِيَّما في أوقاتِ إجابَتِه التي أخبرَنا بها النَّبيُّ ﷺ، وهي: عند الأذانِ، وبينَ الأذانِ والإقَامةِ، وفي السُّجودِ، وأدْبارِ الصَّلواتِ المَكتُوباتِ، وساعةٍ في جَوْفِ اللَّيلِ الآخِرِ، **ودَعوةِ الصَّائمِ حين يُفْطِر**، ودَعوةِ المُسافِرِ، وآخرِ ساعةٍ مِن عَصْرِ يومِ الجُمُعةِ، وعند شُرْبِ ماءِ زَمْزَمَ، ودَعوةِ المَظلُومِ، ودَعوةِ الوالِدِ لولِده، ودَعوةِ المُضْطرِّ...

**وهذِه أدْعِيةٌ جامِعةٌ كانَ النبيُّ ﷺ يكثر الدُّعاءَ بها:**

❁ «اللَّهُـمَّ آتِنـا فـي الدُّنْيا حَسَـنةً، وفي الآخِـرةِ حَسَـنةً، وقِنَا عَذابَ النَّارِ».

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٧١٥) وأبو داود (١٤٨٨) والترمذي (٣٥٥٦) وهو صحيح.

(٢) «الزُّهد» للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١).

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعَفافَ، والغِنَى».

❁ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وارْحَمْنِي، واهْدِني، وعافِنِي، وارْزُقْنِي».

❁ «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنا على طاعَتِكَ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعَوْذُ بكَ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القَضاءِ، وشَماتَةِ الأعْداءِ».

❁ «اللَّهُمَّ أصْلِحْ لي دِينِي الَّذِي هو عِصْمَةُ أمْرِي، وأصْلِحْ لي دُنْيايَ الَّتي فيها مَعاشِي، وأصْلِحْ لي آخِرتِي الَّتي فيها مَعادِي، واجْعَلِ الحَياةَ زِيادةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، واجْعَلِ المَوتَ راحةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى، والسَّدادَ».

❁ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي وجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وما أنْتَ أعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي جِدِّي وهَزْلِي؛ وخَطَئِي وعَمْدِي؛ وكُلُّ ذلكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، وما أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أنْتَ الـمُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، وأنْتَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنْ شَرِّ ما عَمِلْتُ، ومنْ شَرِّ ما لم أعْمَلْ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عافِيَتِكَ، وفُجاءةِ نِقْمَتِكَ، وجَميعِ سَخَطِكَ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والهَرَمِ، وعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْواها، وزَكِّها أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها، أنْتَ ولِيُّها ومَوْلاَها، اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِنْ دَعْوةٍ لا يُسْتَجابُ لَها».

❁ «اللَّهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ توكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ، وإلَيْكَ حاكَمْتُ. فاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ، وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ، وما أعْلَنْتُ، أنتَ الـمُقَدِّمُ، وأنْتَ الـمُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلَّا أنْتَ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوّةَ إلَّا باللهِ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، ومِنْ عَذَابِ النَّارِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبرِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْر، وأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الغِنَى، وأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقرِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنْ فِتْنةِ النَّارِ، وعَذابِ النَّارِ، ومِنْ شَرِّ الغِنَى والفَقْرِ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنْ مُنْكَراتِ الأخْلاَقِ، والأعْمالِ، والأهْواءِ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، ومِنْ شَرِّ بَصَرِي، ومِنْ شَرِّ لِسانِي، ومِنْ شَرِّ قَلْبِي، ومِنْ شَرِّ مَنِيِّي».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذامِ، وسَيِّئ الأسْقامِ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوْذُ بكَ مِنَ الجُوعِ، فإنَّهُ بئْسَ الضَّجِيعُ، وأعُوْذُ بكَ منَ الخِيانةِ، فإنَّها بئْسَتِ البِطانةُ».

❁ «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ منَ الخَيْرِ كُلِّهِ، عاجِلِهِ وآجِلِهِ، ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لم أعْلَمْ، وأعُوْذُ بكَ منَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عاجِلِهِ وآجِلِهِ، ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لم أعْلَمْ، اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ ما سَأَلَكَ عَبْدُكَ ونَبِيُّكَ، وأعُوْذُ بكَ مِنْ شَرِّ ما عاذَ بهِ عَبْدُكَ ونَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الجَنَّةَ وما قَرَّبَ إلَيْها مِنْ قَوْلٍ أوْ عَمَلٍ، وأعُوْذُ بكَ منَ النَّارِ، وما قَرَّبَ إلَيْها مِنْ قَوْلٍ أوْ عَمَلٍ، وأسْأَلُكَ أنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضاءٍ قَضَيْتَهُ لي خَيْراً».

❁ «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ، ما يَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَ مَعاصِيكَ، ومِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بهِ جَنَّتَكَ، ومنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ بهِ عَلَيْنا مُصِيباتِ الدُّنْيا، ومَتِّعْنا بأسْماعِنا، وأبْصارِنا، وقُوتِنا، ما أحْيَيْتَنا، واجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجْعَلْ ثَأْرَنا على مَنْ ظَلَمَنا، وانصُرْنا على مَنْ عادانا، ولا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنا في دِينِنا، ولا تَجْعَلِ الدُّنْيا أكْبَرَ هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا، ولا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لا يَرْحَمُنا».

❁ «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنْ فِتْنةِ النَّارِ وعَذابِ النَّارِ، وفِتْنةِ القَبْرِ

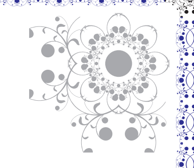
وعَذابِ القَبْرِ، وشَرِّ فِتْنةِ الغِنَى وشَرِّ فِتْنةِ الفَقْرِ، اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ فِتْنةِ المَسِيحِ الدَّجّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّ قَلْبِي منَ الخَطايا، كَما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأبْيَضَ منَ الدَّنَسِ، وباعِدْ بَيْنِي وبَيْنَ خَطايايَ، كَما باعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ منَ الكَسَلِ والمَأْثَمِ والمَغْرَمِ».

❁ «رَبِّ أعِنِّي ولا تُعِنْ عَليَّ، وانصُرْنِي ولا تَنْصُرْ عَليَّ، وامْكُرْ لي ولا تَمكُرْ عَليَّ، واهْدِنِي ويَسِّرِ الهُدَى لي، وانصُرْنِي على مَنْ بَغَى عَليَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّاراً، لَكَ ذَكَّاراً، لَكَ رَهَّاباً، لَكَ مِطْواعاً، لَكَ مُخْبِتاً، إلَيْكَ أوَّاهاً مُنِيباً، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، واغْسِلْ حَوْبَتِي، وأجِبْ دَعْوتِي، وثَبِّتْ حُجَّتِي، وسَدِّدْ لِسانِي، واهْدِ قَلْبِي، واسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»[1].



(١) وهذه أدعيةٌ ثابتة صحيحةٌ عن النبيِّ ﷺ مخرَّجةٌ في كتابي: «**فإني قريب؛ الوِرْد النَّبوي في أذكار اليوم والليلة**».






## حَجَّةٌ معي!

صُحْبَةُ النبيِّ ﷺ مِنْ أَسْمَى الغَاياتِ، وأشَرفِ الأُمنياتِ، ولَئن فاتَنا فَضْلُ صُحْبتِه حَيّاً؛ فلا أقلَّ مِن كَسْبِ أجرِ حَجَّةٍ معه، ولو كان مَيْتاً، لاسيَّما وهي الحَجَّةُ الوَحيدةُ.

عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانٍ الأَنْصَارِيَّةِ:

«ما مَنَعَكِ أنْ تَحُجِّينَ مَعنا؟»

قالت: كان لنَا نَاضِحٌ[1]، فرَكِبَهُ أبو فلانٍ وابنُه ـ لِزَوْجِها وابنها ـ وترك نَاضِحاً نَنْضَحُ عليه.

قال: «فإذا كان رَمضانُ اعْتَمِري فيه؛ **فإنَّ عُمْرةً في رمضانَ حَجَّةٌ**»

وفي روايةٍ: «تَقْضِي حَجَّةً معي»[2].

واهاً لصُحْبةِ سيِّدِ الأنام.

كَمْ يَقِفُّ شَعْري حينَ يَطرُقُ سَمْعِي، أو يَرْمقُ بَصرِي، قول ذِي البِجَادَيْن عبدِ اللهِ المُزني رضي الله عنه لعمِّهِ حينَ قالَ له: واللهِ لَئن أسلمتَ لأنتزعنَّ كلَّ ما أعْطَيتُك! فصَاح لِسَانُ الشَّوقِ:

---

(١) النَّاضِح: الدَّابة التي يُستقى عليها الماء.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٨٢) و(١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦).

«**نَظرةً مِن مُحمَّدٍ أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها**»[١].

إذا كانَ هذا لِنظْرةٍ يَترُك كلَّ شيءٍ خَلْفَه؟

فقُلِّي بربِّك..

كيفَ بصُحْبةٍ مُباركةٍ لسيِّدِ الخَلْقِ؟

وفي أطْهَرِ بقعةٍ منَ الأرض، في جَـوٍّ إيمانـيٍّ رُوْحانـيٍّ، تَسْمُو فيه الرُّوحُ نحو العَرْش!

فهذا مَذهُبُ المُحبِّين الصَّفِي النَّقِي!

أَوَ تذكرُ ذاكَ الذي سألَ رَجُلاً مَعمُورَ القلبِ بمَحبَّةِ النبيِّ ﷺ وشَوْقِه إليه: حَدِّثني عَنْ شَيءٍ مِنْ نَعِيم الجنَّةِ؟

فقالَ له: «**فِيْها رَسُولُ اللهِ ﷺ**»!

**لا إلهَ إلَّا اللهُ**، كم في هَذا الجَوابِ العَفْويِّ مِن مَشاعِرَ فيَّاضةٍ، وأحاسِيسَ مُفْعَمةٍ بالحُبِّ شَوْقاً لرسُولِ اللهِ ﷺ.

بكُلِّ عَفْويَّةٍ وحُسْن فِطْرةٍ قال بما قَلبُه مَشغُولٌ به، يترَقَّبُ أُنْسَ اللِّقاءِ!.

وكأنَّهُ يُحاكِي قولَ أرَقِّ النَّاسِ قُلُوباً ـ الأشْعَرِيِّينَ ـ حِينَ قَدموا المَدينةَ، يَرْتجِزُونَ شَوْقاً:

---

(١) «المُدْهِش» لابن الجوزي (١/ ٣٠١)

## غداً نَلْقى الأَحِبَّهْ.. مُحَمَّداً وحِزْبَهْ[1]

«فِيْها رَسُولُ اللهِ ﷺ»: يا لحَلاوةِ هذه الكلمةِ ونَدَاوتِها، وهي تَأْخُذُ بمَجامِعِ قَلْبِك ولُـبِّك، فتَطُوفُ بك في سِيْرتِه وحياتِه وجَلسَاتِهِ مع صَحابتِه، وكأني بكَ تَسْتشْعِرُ نفسَك بينهم.

ويَبْقى الأُنسُ الأتمُّ، والنَّعيمُ الألذُّ، رُؤيةَ المَوْلَى جلَّ في عُلاه. فما بَعدَ الرُّؤيةِ لوجهه سبحانه وتعالى مِن نَعيمٍ، نَسألُ اللهَ مِن وَاسِعِ فَضْلِه.

فَسِرْ معَ هذه الأنظارِ التي تَطْمحُ إلى لُقْياهُ، والعيشِ في صُحْبتِه، وعلى مَقْربةٍ مِن مَجْلِسِه، أوَ تَظنُّ أنَّ مَن كان هَذا هَمَّه يَغفَلُ عمَّا يُقرِّب مِن مَجْلِسه ولاسِيَّما في مَواسِم الخَيراتِ والبَركاتِ؟!

أينَ تُجَّارُ الدُّنيا؟

هل سَمِعُوا بتجارةٍ نحوَ هذه؟

هل بلغَهُم فَضلٌ كهَذا؟

«فإنَّ عُمْرةً فيه تَقْضِي حَجَّةً معي»..

يا الله..! تَصوَّر معي يا أُخيَّ.. أُخيَّتي..

أنك تُؤدِّي العُمرةَ بصُحْبةِ النبيِّ ﷺ واستشْعِر ذلك مِن مَبدءِ نُسُكِها حتى التَّحلل..

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٢٠٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه وهو صحيح.

تُحْرِمُ، وتُلبِّي، وتَدخلُ البيتَ الحرامَ.. «**والعينُ تَرْمُقُ نبيَّنا** ﷺ »

وتَسْتلِمُ الحَجَرَ إنْ أمكنَ؛ فتطوفُ سَبْعاً، ثُمَّ تُصلِّي خلفَ المقامِ.

«**والعينُ تَرْمُقُ نبيَّنا** ﷺ **وتَهْتدِي بهديه في النُّسك**».

ثُمَّ نحو زَمْزم، وتَسْتذْكِر قولَ حَبِيبك مُحمَّدٍ ﷺ: «ماءُ زَمزمَ لِمَا شُرِبَ له»[1] فتَشربُ وتُسِرُّ بالدُّعاءِ، وتَشربُ وتُسِرُّ بالدُّعاءِ حتَّى تَتضلَّع !

**وإنْ أسعدَك الفِكرُ**؛ رميتَ به بعيداً لموقفِ القيامة: تستعذب ـ تحقيقاً إنْ شاء الله ـ شَرْبةً طيِّبةً هنيَّةً حُلْوةَ المَذاقِ مِن يدِ النبيِّ ﷺ فلا تظمأُ بعدَها أبداً والله..

وبعدها تتوجَّه تِلْقاء الصَّفا والمَرْوة سَعْياً سبعاً حتى التَّمام، فَتَحلِقُ للرَّحمةِ ثلاثاً.

وأنتَ في جوٍّ إيمانيٍّ رفيع، وفي كلِّ ذلك لا تَخْطُو خطوةً إلَّا وأنتَ تستشعِرُ صُحْبَةَ النبيِّ ﷺ وتَمْتثِلُ هَدْيه..

**فقلي بربِّك**.. كيف سيكونُ أثرُ هذه العَمْرة على قلبك ورُوحِك وجَوارِحِك؟

ألا يَخفِقُ فؤادُك هَيْبَةً لهذا المشهدِ؟

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٨٤٩) من حديث جابر رضي الله عنه وهو حسن.

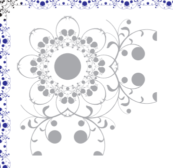
ويكاد قلبُك يَطِيرُ مُسرِعاً نحو مكةَ والبيت الحرام؛ فيَفِيـئ إلى رُضوَانِ اللهِ ونعيمِه وسُكونِه وطَمأنِيْنَتِه والأُنسِ في بَيتِه؟

أعِدِ القراءةَ ثانيةً..

أظنُّ أنَّ هذا الشُّعور قد يُحرِّك فيك باعثاً للوُصُولِ لنَعِيمِ عُمرةٍ فيها هذا الأُنْس الذي لا يكُونُ إلَّا في رَمضانَ!!








## ولو بشِقِّ تمرةٍ

رمضانُ.. شَهرُ الجُودِ والإحسانِ، وهُو شَهرُ القُرآنِ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وهو شَهرُ الحَسناتِ، والمُؤمِنُ بينَ حَسنةٍ ماضيةٍ، وحَسنةٍ قادمةٍ.

فرمَضانُ شَهرٌ تُرفَعُ فيه الدَّرجاتُ، وتُضاعَفُ فيه المَثُوباتِ، وأينَ بُرهان الإيمانِ مِن هذه الطَّاعاتِ؟

سأُنْبِيك عنْ نَبيِّكَ ﷺ: «كان أجودَ النَّاسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكان يَلْقاهُ في كُلِّ لَيلةٍ مِنْ رمضانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرسُولُ اللهِ ﷺ أجودُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[1].

أنتَ للمالِ إذا أمْسَكْتَهُ          وإذَا أنْفَقتَهُ فالمَالُ لَكْ

أيْ أُخَي.. أعْمِلْ فِكْرَك، وأيقِظْ قلْبَك في هذا الحَديثِ، وتأمَّل كيفَ وجَّهَ النبيُّ ﷺ لزَوْجِه الفَهْمَ الصَّحِيح لمَعْنى القُدُومِ على الله تبارك وتعالى.

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: ذَبَحُوا شَاةً، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَقِي إلَّا كَتِفُها؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال: «كُلُّها قَدْ بَقِيَ إِلَّا كتِفَها»[1]!

**هكـذا المَوازِيـنُ:** وهكـذا هي بَصائـرُ أهلِ فِقْـهِ القُدُومِ علـى ربِّهِم، أسـألُ اللهَ لـي ولـك أنْ يَمُنَّ علينـا بمِثْلِ هـذِه البَصِيرة.

## فأبْصِرْ أيُّها الصَّائم:

الفَقيرُ مُحتاجٌ، والمِسكينُ يَتلهَّفُ لطَارقٍ يَطرُقُ بابَه، ومعَ هذِه الحاجَةِ، إلَّا أنَّنا أحْوجُ مِنْهما إلى ثَوابِ الصَّدقةِ، وأجرِ البِرِّ والإحسانِ؛ فحَاجْتُهما دُنْيويةٌ، وحاجَتُنا أُخْرَويةٌ، دُنْيويةٌ!

فاشْتَرِ نفسَك مِن اللهِ تبارك وتعالى، وأطْعِمِ الجَائعَ، وأعْطِ الفَقيرَ، وابدَأْ بمَنْ تَعُولُ؛ **فالصَّدقةُ بُرْهَانٌ**[2]؛ لدَلائلِ الإيمانِ.

يقُول الإمام ابنُ القيِّم رحمه الله: «أنْفَعُ النَّاسِ لكَ؛ رجلٌ مَكَّنكَ مِن نَفْسِه؛ حتَّى تَزْرعَ فيه خَيْراً، أو تَصْنعَ إليه مَعْرُوفاً، فإنَّه نِعْمَ العَونُ لكَ على مَنْفعَتِك وكمالِك؛ **فانْتِفاعُك بِهِ في الحَقِيقَةِ مثلُ انتِفَاعِه بك، أو أكثر**»[3].

كان الحسَـنُ البصـريُّ رحمـه الله، يُكـرِمُ الفُقـراءَ الذيـن يُعْطِيهِـم الأمـوالَ؛ فلمَّـا سُـئِل؟

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٢٤٠) والترمذي (٢٤٧٠) وهو صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٩٠٢) ومسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

(٣) «الفوائد» لابن القيم (٢٧٩).

قال: **هَؤُلاءِ حُمَّالُ زَادِنا إلى الآخرة!**

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: نِعْمَ القَومُ السُّؤَّالَ، يَدُقُّونَ أبوابَكُم يَقُولُون: أتُوجِّهُونَ للآخرةِ شيئاً[1].

تأمَّل هذا الفِقْهَ الدَّقيق، والنَّظرَ العَمِيقِ للقُدُومِ على اللهِ..

**واعتَبِـرْ ألْهَمكَ اللهُ الشُّكرَ ووفَّقكَ للتَّقوى:**

لا تَنْظُرْ لِنفْسِك أنَّك مُحْسِنٌ إلى أحدٍ، بل افعَلِ الخَيرَ وتَنحَّ سَرِيعاً، وأَحْيِي مَعْرُوفَك بإماتَةِ ذِكْرِه، واحْمَد اللهَ أنْ هَداك للجَميلِ قبلَ وقتِ الرَّحِيل.

عوِّد نفسَك على الصدقةِ مِن يسيرِ مالِك، تكسب أجرَ الصدقةِ مضاعفةً في شرفِ الزمَان، وبركةً في مالِك ونفسِك وأهلِك.

**فأين التُّجارُ والمرضى وأهلُ الحاجاتِ عن طَرْقِ هذا الباب في شهر الخير والبركات والحسنات؟**

**ثم الأسئلة ثلاثةٌ:**

مِنْ أينَ لك؟

وفِيْم أنفَقْته؟

وماذا عَمِلْتَ فيه؟

---

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (٢٣٠)

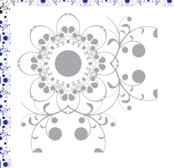
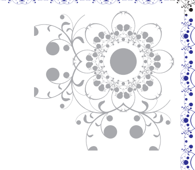
فهاهُو مَوْلاك، للنَّفقةِ قد دَعاك، ثُمَّ أَوْصَاك:

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

**فإنَّ الجُودَ بالمالِ مِن أسمى أنواعِ الجُودِ وأعلاها شَرَفاً وفَضْلاً ونُبْلاً**؛ فليكُنْ شِعَارُك..

**وفتـــىً خَــــلا مِـــن مَالِـــه — ومِـــنَ المُـــرُوءةِ غيـــرُ خَـــالْ**

**أعطــــاكَ قَبْــــلَ سُــــؤالِك — فكفَـــاكَ مكـــرُوهَ السُّـــؤالْ**

## وظيفةُ العُمُر

| | |
|---|---|
| كفـى يـا نَفـسُ مـا كانـا | كفَـاكِ هَـوىً وعِصْيانـا |
| كفَاكِ فَفِـي الحَشَـى صَوتٌ | مِـنَ الإشـفاقِ نادَانـا |
| أمَـا آنَ المَـآبُ؟ بَلـى | بَلـى يـا نَفْـسُ قـدْ آنـا |
| سِـياطُ التَّـوبِ تَزجُرنـي | فأُحْنِـي الـرَّأسَ إذْعَانـا |
| وأطـرُقُ والحَشَـا يَغْلِـي | بمـا أسْـرَفتُ نِيْرانـا |
| أصِيـحُ بتَوْبتـي نَدَمـاً | كفَـى يـا نَفسُ مـا كانـا |

### رَمضَانُ شَهرُ التَّوبة..

إنَّ اسمَ «رمضانَ»: مَأخُوذٌ مِن رَمضَ الصَّائمُ يَرْمضُ: إذا حَـرَّ جَوفُهُ مِن شِدَّةِ العَطش.

وقيل: لأنَّه يَرْمَضُ الذُّنُوبَ؛ أي: يَحْرِقُها بالأعمالِ الصَّالحةِ، مِن الإرْمَاضِ، وهُو الإحراقُ(١).

فهَلُمَّ يا أُخيَّ، هَلمِيِّ يا أُخيَّتي.. بالأَوْبةِ في شَهْرِ التَّوبة.

انظُرُوا إلى كَرمِ الغَفُورِ الرَّحِيم:

---

(١) انظـر: «التفسـير الكبيـر» للـرازي (٥/ ٢٥١)، و«الجامـع لأحكام القـرآن» للقرطبي (٣/ ١٥٠).

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]

اللهُ أكبر.. كثُر خَيرُ اللهِ وطابَ..

بل أعظمُ من ذلك.. أنَّ اللهَ تبارك وتعالى أشدُّ فرَحاً بتَوبةِ عَبْدِه.

يقول نبيُّك وحَبِيبُك ﷺ: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، للهُ أشَدُّ فَرَحاً بِتَوبَةِ عَبدِهِ إذا تَابَ، مِنْ أحَدِكُم بِرَاحِلَتِه إذا وجَدَهَا»(١).

«للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ»: ما أجملَ هذا الحَرْف.. كم يَبْعثُ في النَّفْسِ طَمأنينةً ورَاحةً؟

«أَشَدُّ فَرَحاً»: يا خَجلاهُ، أنْ يكُونَ اللهُ تبارك وتعالى أشدُّ فَرَحاً مِنْك لنَفْسِك، ولا تُحدِّثْ نفسَك بهذا الفَرحِ! وقد وَعدَك بالرَّحمةِ والمَغفرةِ.

«فليتدبَّرِ اللَّبيبُ وُجودَ هذا الفَرحِ ولَوازِمه ومَلْزُوماتِه؛ يَجِدْ في طَيِّه مِنَ المَعارفِ الإلهيَّةِ ما لا تتَّسعُ له إلَّا القُلوبُ المُهيَّأَة لهذا الشَّأنِ المَخلُوقةِ له، وهذا فرحُ مُحسِنٍ بَرٍّ لطيفٍ جَوادٍ غَنيٍّ حميدٍ..

**والذي يَزيدُ هذا المَعْنى تَقْرِيراً**: أنَّ محبَّةَ الرَّبِّ لعبدِه سَبقتْ مَحبَّةَ العبدِ له سُبحانه، فإنَّه لولا مَحبةُ اللهِ له لَمَا جعلَ مَحبَّته في قلبِه، فلمَّا أحبَّهُ ألْهمه حُبَّه وآثرَهُ به، فلمَّا أحبَّه العبدُ جازَاهُ على تلك المَحبَّةِ مَحبَّةً

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٨١٩٢) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أعظمَ منها، «فإنَّه مَن تقرَّبَ إليه شِبْراً تقرَّبَ إليه ذِرَاعاً، ومَن تقرَّبَ إليه ذِرَاعاً تقرَّبَ إليه باعاً، ومَن أتاهُ مَشْياً أتاه هَرْولةً».

**وهذا دليلٌ على أنَّ مَحبَّةَ اللهِ لعبدِه الذي يُحبُّه فوقَ مَحبَّةِ العبدِ له.**

ومتى أرادَ العبدُ شاهِدَ هذا مِن نَفْسِه فلْينظُر إلى الفرحةِ التي يَجِدها بعدَ التَّوبةِ النَّصُوحِ، والسُّرورِ واللَّذةِ التي تَحصُلُ له والجَزاءُ مِن جِنْس العملِ؛ **فلمَّا تابَ إلى اللهِ، ففَرَحُ اللهِ بتَوْبتِه أَعقبَهُ فَرحاً عَظِيماً.**

**وهاهنا دقيقة**: قلَّ مَن يتفطَّن لها إلَّا فَقِيهٌ في هذا الشأْن؛ وهي أنَّ كلَّ تائبٍ لا بُدَّ له في أوَّلِ تَوبتِه مِنْ عَصْرةٍ وضَغْطةٍ في قلبِه مِن همٍّ أو غَمٍّ أو ضِيْقٍ أو حُزْنٍ، ولو لم يكن إلَّا تألُّمٌ بفراقِ مَحْبُوبِه؛ فيَنضَغِطُ لذلك ويَنْعصِرُ قلبُه، ويَضِيقُ صَدْرُه، فأكثرُ الخلقِ رَجعُوا مِن التَّوبةِ ونُكِسُوا على رُؤُوسِهم لأجل هذه المِحْنة!

**والعارفُ المُوفَّق**: يَعلمُ أنَّ الفرحةَ والسُّرورَ واللَّذةَ الحاصِلةَ عقيبَ التَّوبةِ تكونُ على قَدْرِ هذه العَصْرةِ، فكلَّما كانت أقوى وأشدَّ كانتِ الفرحةُ واللَّذةُ أكملَ وأتمَّ»[1].

**فيا أخي التائبُ، التَّائبة**.. أطرِقْ سَمْعك لهذا الخبرِ الرَّحماني، يَعِدُك فيه حالَ صِدْق توبتك ونُصحِك لنفسك بالتَّبديلِ الجَميل، والعفو الجزيل؛ **فهنيئاً للتائبين**.. يقول سبحانه وتعالى:

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٣٠) مختصراً.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧٠ ـ ٧١].

فـ«إذا تابَ العَبدُ تَوبةً نَصُوحاً صادِقةً خالِصةً، أحْرَقتْ ما كانَ قَبْلَها مِن السِّيئاتِ، وأعادَتْ عليهِ ثَوابَ حَسناتِه»(١).

أرأيتَ إلى رَحمةِ ربِّك أيُّها التَّائبُ.. وأيتُها التَّائبةُ..

## فماذا يُريدُ مِنْك؟

يُرِيدُك في رمضانَ لنَفْسِك؛ لصَلاحِك، وفَلاحِك، ونَجاتِك: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧ ـ ٢٨].

فهاهو شَهرُ التَّوبةِ والأوْبة.. إلى مَتى الهَربُ مِن مَوْلاك؟

إلى مَتى الفِرارُ مِمَّن مَردُّكَ إليه؟

وقُدُومُك عليه؟

فضَيْفُك قد قارَبَ الرَّحيلَ، ولم تُحْدِثْ بعدُ تَوبةً؟

أزِفَ المَوعِدُ ولم تَحِنْ منكَ أوْبة؟

أغرَّكَ طُولُ الأمل؟ أمَا تَتُوبُ؟ أمَا آنْ الرُّجوعُ؟

---

(١) «الوابل الصيب» (٢٤).

أتى رمضانُ، ومَنحك نِعْمةَ بُلُوغِه.. وجعلَ لك فيه مَفاتِيحَ الغُفرانِ، فإنْ أخذتَ بها؛ فُزْتَ ونَجْوتَ، وإنْ أعرَضْتَ خِبْتَ وخَسِرْتَ:

«رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخلَ عليهِ رَمَضانُ؛ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أنْ يُغْفَرَ لَهُ»[1].

## فيا أُخيَّ إلى متى؟

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٥].

## أي أُخَي:

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بصَدِّكَ عن الصَّلاةِ، وعن ذِكْرِ اللهِ، وهَجْرِك لمَسْجِدِه.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بأكْلِكَ للرِّبا والسُّحتِ وأموالِ النَّاس بالباطِلِ، وهَضْمِ حُقُوقِهم.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بغِشِّك للمسلمين في بَيْعِك وشِرَائك.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بأَخْذِك للرَّشوةِ وما لا يَحِلُّ لك.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بسَماعِك للغِناء والموسيقى مِن المَاجِنينَ والفاسِقِينَ، والعِياذُ باللهِ.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: يا مَنْ تميَّزَ بالْتِزامِه وصَلاحِه **وتساهَلَ**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٤٥١) والترمذي (٣٥٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو صحيح.

**في سَماعِه للمُوسِيْقى وآلاتِ اللَّهو في النَّشِيد!!** وإنْ أفتاكَ المُفْتُونَ والنَّاس؛ فإنَّهُم لن يُغْنُوا عنكَ مِن اللهِ شيئاً، وأنتَ المُحاسَبُ وحدَك.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بشُرْبِك للمُحرَّماتِ مِن دُخانٍ، وخَمْرٍ ومُخدَّراتٍ، وغيرها.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بعُقُوقِك لوالدَيْك، وسَخطِك منهما، والتَّكبُّر عليهما.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بتَعمُّدِك الأذى والضُّرَّ لعبادِه وأوْليَائه من المُؤمنينَ والمُؤمناتِ.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بتَرْكِكِ أُخيَّتي حِجَابَك وسِتْرَك.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾: بتعرُّضِكِ للَّعنِ؛ في نَمْصِ الحَاجِبِ، ووَصْلِ الشَّعرِ، والوَشْم.

**فيَا أيُّها التَّائب:**

ليكُـنْ شِـعارُك فـي حَياتِـك.. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾.

واسمعي يا نَفْسُ واخْشَعِي..

يُنادِيك ربُّ العزَّةِ مِن فوقِ سَبْعِ سمواتِه..

يَتودَّدُ إليكِ بالرُّجُوعِ وعَدمِ القُنوطِ مِنْ رَحمتِه..

يقُول لك:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٨].

وأنتَ أيها الصَّالِحُ.. أتظنُّ أنكَ عِن هذِه الوَظيفةِ بمَعْزِلٍ؟

أمَّا علِمْتَ أنَّ نبيَّك ﷺ كان يُعدُّ له في المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِن الاستغفارِ أكثرُ مِن مِئة مرَّةً؟

اقرأْ أحادِيثَ التَّوبةِ، وجدِّدِ الأوْبَةَ، فهذِه حالُ أهلِ المَقاماتِ العالِيةِ، والمَناقِبِ السَّامِيةِ، والنُّفُوسِ الزَّاكية.

فلا تَغْفلنَّ عن ذلك، وإيَّاك أنْ تأمَنْ..

**هَيْهات.. فلا مأمنَ مِنَ الشَّيطانِ إلَّا بمماتٍ على الثَّبات.**

بل **وَظيفةُ العُمُرِ هذه**: مِن أشرفِ التَّعبُّداتِ التي يفرَحُ اللهُ بها.

يقولُ الإمامُ ابنُ القيِّم رحمه الله: «الفرحُ مِن اللهِ بتوبةِ عبدِه ـ مع أنه لم يأْتِ نظيرُه فى غيرِها مِنَ الطاعاتِ ـ **دليلٌ على عِظَمِ قَدْرِ التَّوبةِ**

**وفضلِها عندَ اللهِ، وأنَّ التعبُّدَ له بها مِن أشرفِ التَّعبُّداتِ، وهذا يدلُّ على أنَّ صاحِبَها يعودُ أكملَ ممَّا كان قبلها»**[1].

فها هُو رمضانُ أمامك بين يديك لِتُرِي ربَّك مِن نفسِك خيراً، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يقول أحدُهُم:

| | |
|---|---|
| الموتُ بـابٌ كلُّ الناسِ داخِلُه | فليتَ شِعْري بعدَ البابِ ما الدارُ |

**فأُجِيب:**

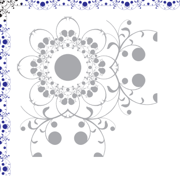
| | |
|---|---|
| الدَّارُ جنَّةُ خُلْدٍ إنْ عَـمِلْتَ بما | يُرْضِـي الإلهَ وإنْ فرَّطتَ فالنَّارُ |
| هما مَحلَّان ما للناس غيرُهـما | فانظرْ لنَفْسِك ماذا أنتَ تختارُ[2] |



---

(١) «طريق الهجرتين» (٢/ ٥٣٢).

(٢) «أدب الدنيا والدين» للماوردي(٢٤٩)






رَمضانُ فُرصةٌ لوَصْل الأرحام، وشدِّ مِيْثاقِ العوائلِ الكِرَام؛ فيَزُورُك رَحِمُك، وتَزورُ قَرابتَك؛ مع تَفقُّدِ أمرِهم، والسُّؤالِ عنهم، وعَودةِ مَرِيضِهم، والحُزْنِ لِمُصابِهِم.

ويَنْبغي الفرحُ لفَرحِهم؛ والأُنْسُ بصُحْبتِهم، فيجتَمِعُ الشَّمْلُ، ويَسْعدُ الأهلُ؛ فتتقاربُ النُّفوسُ، وتَتباعدُ الكراهيةُ والبَغضاءُ، **وهذا كلُّه وَفْق شَرْعِ اللهِ وهَدْيه، ويَجِبُ أنْ يكُونَ بعيداً كلَّ البُعدِ عمَّا يُغْضِبه وفيه إثمٌ ومَعْصِيةٌ، وإلَّا فلا.**

فلا بُدَّ للمُؤمِنِ أو المُؤمنَةِ الذي يَفْقَهُ كيف يُقْدِمُ على ربِّه، ويُبْصِر رُشْد ذلك فيُوفَّقُ له.. أنْ لا يَتنازَلَ عن الْتِزامِ شَرْعِ الله سبحانه وتعالى، ولا يَتساهَلَ في ذلك، ولَو لَقِي المَشقَّةَ أو الهُزْءَ والاستِخْفافِ، فإنَّ الله تبارك وتعالى قد ذكَّر نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]

فإذا جمعَ المُؤمنُ في بيتِه تحتَ سَقْفِه الأرْحامَ، وطردَ الشُّرورَ والقَطِيعةَ والآثامَ، ونَشرَ الحُبَّ والوُدَّ والوِئامَ؛ وأطعَمَ الطعامَ للصُّوَّام، فتلك نِعْمةٌ عظيمةٌ، ومَنزلةٌ كريمةٌ؛ فإنَّ صِلَةَ الأرحامِ؛ مِن أعظم ما يُدْنِي إلى دار السَّلام، ويُرْضِي المَلِك العَلَّام.

وبذلك رَغِم أنفُ الشيطانِ، وارتَفعَتْ راياتُ الجِنان، مُناديةً: **لا قَطِيعةَ بعدَ رمضانَ.**

للهِ ما أعظَمَ شأنَ الرَّحِم.. فأيُّ مكانةٍ قد سَمَوتِ؛ حتى غدا ربُّ العِزَّة يُراضيك؛ فيقُولُ لكِ: «ألا تَرْضَينَ أنْ أصلَ مَن وَصَلَك، وأقطعَ مَن قَطعَك»[(١)].

وإذا قَطعَك اللهُ فمَن يَصِلُك؟

يا لِفَخامةِ هذِه المَنزلةِ عندَ اللهِ تبارك وتعالى، فلا غَرْو أنْ تكُونَ صِلةُ الرَّحِم مِن **أسباب دُخولِ الجنَّة.**

فقد جاءَ رَجلٌ إلى النبيِّ ﷺ؛ فقالَ: يا رسُولَ اللهِ، دُلَّني على عَملٍ يُدْنِيني مِن الجنَّة، ويُباعِدُني مِن النَّار؟

فقال: «تَصِلُ ذا رَحِمِك».

فلمَّا أدبرَ الرَّجلُ، قال النَّبيُّ ﷺ: «إنْ تمسَّك بما أُمِر به؛ دخلَ الجنَّة»[(٢)].

وأرْشدَنا ﷺ بقولِه: «يا أيُّها النَّاسُ، أفشُوا السَّلامَ، وأطْعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجنَّةَ بسَلامٍ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٣) (١٤) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٧٨٤) والترمذي (٢٦٥٣) وابن ماجه (٣٢٥١)

فيا باغي حُسْن القُدُوم على ربِّك، دَقِّق.. كيفَ تزاحَمَتِ الطَّاعاتُ في شهرِ الصِّيام؟! فيَنْبغي للعُقلاءِ أنْ يُحسِنُوا تَرقُّبَ مثلَ هذه النَّفحاتِ، وكَسْبِها في مَواسِم الخَيراتِ.

والصِّلةُ بَعدُ.. سَببٌ في **بَسْطِ الرِّزقِ، وإطالةِ العُمُر**.

فعَنْ أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه، قال سَمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أنْ يُبسَطَ له في رِزْقِه، أو يُنْسأَ في أَثَـرِهِ؛ فلْيَصِلْ رَحِمَه»[1].

وأخبرَ ﷺ: «إنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في أَهْلِه، مَثْرَاةٌ في مَالِه، مَنْسَأَةٌ في أَثَرِه»[2]

فحُبُّ المالِ وحبُّ إطالةِ العُمُر - على خيرٍ - ممَّا أوْدعهُ اللهُ تبارك وتعالى في نُفُوسِ العبادِ، فأينَ الذين يَسْعَون في الرِّزق ونَمائه، ويَجْتهِدُون في حِفْظِ الصِّحةِ بُغْيَةَ طُولِ العُمُر، دُونكُم هذا الباب الذي تَفِدُون به على ربِّـكم بعَملٍ صالِحٍ، ورِزْقٍ طيِّبٍ.

ويحسُـنُ بـك - **وأنـتَ الواصِـلُ** - أنْ لا تكـون صِلتُـك لرَحِمِـك مكافـأةً:

---

من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه. وهو صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٨٨٦٨)، والترمذي (١٩٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن.

فعن عبدِاللهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الرَّحِمَ مُعلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، وليسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئ، ولكِنِ الوَاصِلُ الذي إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وصَلَها»[1].

وحَسْبُكَ إنْ قَطعُوكَ أنْ تَتفضَّلَ عليهِم بوَصْلِهِم، واجعل هذا التَّوفيقَ مِنَ اللهِ عليك يومَ حُرِمُوه مَسرَّةً للقُدُومِ إليه، وزَاداً يومَ العَرْضِ عليه.

ثُم طِبْ نَفْساً فوقَ ذلك أنَّ اللهَ تبارك وتعالى معك ظَهِيرٌ ومُعِينٌ عليهم:

عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا قالَ: يا رسُولَ اللهِ، إنَّ لِي قَرَابَةً أصِلُهُم ويَقْطَعُون، وأُحْسِنُ إليهِم ويُسِيئُونَ إلَيَّ، وأحلُمُ عَنْهم ويَجْهَلُونَ عَليَّ.

قال: «لَئِنْ كُنتَ كما تقُولُ، فكأنَّما تُسِفُّهُم المَلَّ، ولا يَزالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِم، مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[2].

**ومعنى ذلك**: أنَّ إحسانَك لهم معَ إساءَتِهم إليك، يَعُودُ وَبالاً عليهم، و«**المَلُّ**»: الرَّماد الحار، أي: حتَّى في إحسانِك مع إساءَتِهم كأنَّك تُطْعِمهم النَّار.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦٥٢٤)، والبخاري (٥٩٩١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٩٩٢)، ومسلم(٢٥٥٨).

فإنْ زيَّنَ لك الشَّيطانُ قَطْعهُم، وتذرَّعَ لك بكُلِّ ذريعةٍ من مشكلةٍ وهَضْمِ حُقوقٍ وأذى، فلا تركَنْ إليه، وقلْ يا نفسُ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥].

وادفَعْ كلَّ ذلك بمَا أرْشدَك ربُّك جلَّ في عَلْيائه:

﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤ـ٣٦].

**فإنْ قلتَ: كيفَ السَّبيلُ إلى أنْ أكُونَ مِن الوَاصِلين؟**

فالصِلةُ لها اعتباراتٌ، ومَهارَاتٌ.

فأعْلاها زِيارتُهم في مَكانِهم، أو دَعْوتُهم واستِضَافتُهم عندك.

ثم مَرتبةٌ ثانية: السُّؤالُ والتَّفقُّدُ بما أمكنَك مِن وسائل في فَتراتٍ مُتقاربةٍ باعتِدَالٍ.

ثُم إنْ كُنتَ مَيسُوراً فمِن المَعرُوفِ أنْ تسُدَّ حاجَتهُم ولو لَمْ يَطْلُبوا وتَعفَّفُوا، فكُنْ لمَّاحاً بخَيرٍ، صَاحبَ يدٍ عُلْيا على الغَيْر.

**ومِنَ الوَصْلِ أيضاً:** سَلامةُ الصَّدْرِ عليْهِم، ولِيْنِ الجانبِ لهم مع احتمالِ الأذى، والدُّعاءِ لهُم بالخَيرِ والهِدَايةِ وحُسْنِ الخِتَامِ.

## واحْذَرْ في قَطْعِ الأرحامِ ثلاثاً:

١. **اللَّعْن**: يقولُ الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣] والقطيعةُ مِن مُوجِباتِ اللَّعن!

يقُولُ عليُّ بن الحُسَين رحمه الله يُوصِي ابنَه: «لا تَصْحبنَّ قاطعَ رَحِمٍ؛ فإنِّي وَجدْتُه مَلْعوناً في كتابِ اللهِ تعالى»[١].

٢. **تعجيل العقوبة في الدنيا**: عَنْ أبي بَكْرةَ رضي الله عنه، قالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِن ذَنْبٍ أَحْرَى أنْ يُعجِّلَ اللهُ العُقوبةَ لصَاحِبِه في الدُّنيا، مع ما يُدَّخَرُ له في الآخِرةِ، مِنَ البَغْي، وقَطِيعةِ الرَّحِمِ»[٢].

٣. **الفِسْق والخُسْران**: يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۝٢٦ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَاقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[البقرة: ٢٦ ـ ٢٧]

فبيَّن اللهُ تبارك وتعالى أنَّ الفاسِقينَ مِن صِفَاتِهم: قَطْعُ ما أمرَ اللهُ

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نُعيم(٣/ ١٨٤)

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٣٩٨)، وأبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (٢٥١١) وهو صحيح.

تعالـى أنْ يُوصَـلَ، ومِـن أعظَـمِ ذلـك: صِلـةُ الرَّحِـمِ، ثُمَّ حَكَـم عليهم بالخُسرَانِ.

فإنْ جَفَاكَ رَحِمُك؛ فبَادِرْ إلى زيارَتِه، واطْوِ صَفحةَ المَاضِي، وإيَّاك أنْ يَدخُلَ الشيطانُ بينكما؛ فيُفْسِد!

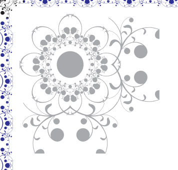
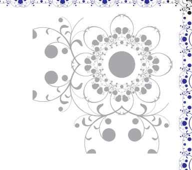
ودَعْ عنك التَّعذُّرَ الباردَ؛ فإنْ تعلَّلتَ؛ أصابَ الشيطانُ منك مَقْتلا.

وإنْ كنـتَ القاطـعُ؛ فبالصِّلـةِ سَـارِعْ، واسـتقبلْ شـهر الرَّحمـات، بأجـلِّ القُرُبـات؛ فصِلـةُ الأرحام، عبـادةٌ، ومحبَّةٌ، ووِئامٌ، وليكن شـعارُ بيتِـك فـي عالِيْه:

**«صِلةُ الأرحام؛ طريقُ دارِ السَّلامِ»**





## العَهْدُ بعدَ رمضانَ

دارَ الزَّمانُ دَوْرته.. وتصرَّمتِ الأيامُ تِلْوَ الأيام..

وهَا هُو شهرُنا أزِفَ رحيلُه، وأفَلَ نَجمُهُ بعد أنْ سَطَعْ، وسَيُظْلِم لَيلُهُ بعد أنْ لَمَعْ.

لا أدري ما الذي أبْدَأُ به.. أأُهَنِّيكُم بِقُربِ العيدِ المُبارك، أمْ أُعزِّيكم بفراقِ شهرِ القُرآنِ والغُفْران؟

القلبُ يمتلئ لَوعةً وأسَى، والعينُ تُسطِّر بدُمُوعِها لَحْنَ الوداعِ، واليدُ تَأْبى أنْ تكتُبْ؟ وما عَساها أنْ تكتب؟

أَتكتبُ حالَ الرَّحيل؟! أتقيِّدُ مَوْقِفَ الوداع، أتَنْقشُ أزيزَ الفراق؟

أحقًّا انقضى رمضان! أذَهبَ ظَمَأُ الصِّيامِ وانطفأ نُورُ القيام؟

يا وَلَهِي عليه.. أذَهَبَ رمضانُ وغابَ هلالُهُ؟

هل قُوِّضتْ خِيامُه.. وتقطَّعتْ أوتادُه؟

أيُّ حالٍ للمُؤمنِ والمُؤمنةِ بَعْدَ رَحِيْلِ رمضان؟

**يا راحـلاً وجميلُ الصَّبْرِ يَتْبَعُهُ ... هلْ مِنْ سَـبيلٍ إلى لُقْيَـاكَ يَتَّفِقُ**

**ما أنْصَفتْكَ دُمُوعِي وهي دَامِيةٌ ... ولا وَفَى لكَ قَلْبي وهُو يَحْتَرِقُ**

مَنْ الذي لا تَتألَّمُ نفسُهُ للحظاتِ الفراق؟

بالأمسِ القريب بَارَك بعضُنا لبعْضٍ استقبالَ رمضانَ، فسالَتِ العبراتُ فَرَحاً واستبشاراً به، وطَرِبَتِ القُلُوب، وشُنِّفَت الأسماع بصَدَى تَراوِيحه.

واليوم.. له لَونٌ غريبٌ من الدُّموع! فانهَمَلتْ على الخُدودِ.. وجادَتْ بأغلى ما لديها..

يا عيوناً أرسلتْ أدْمُعَها ما بِذا بأسٌ لو أرْسَلْتِ الدَّمَا

**رمضانُ.. شاهدٌ لنا أو علينا ممَّا أوْدَعْنَاهُ مِن الأعمالِ**.. فَمْن أوْدَعهُ صالِحاً؛ فلْيَحمدِ اللهَ، وليُبْشِرْ بحُسْن الثَّوابِ، واللهُ لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً، ومَنْ أوْدَعَهُ سَيِّئاً؛ فليَسْكُبِ الدَّمعَ الغزير، وليُدْرِك ما بقي مِنَ القليل.

فكم مِن امرئٍ جاءَ بالقليلِ وتُوِّجَ بالقَبول؟ وكم مَنْ جاءَ بالكثيرِ فَمُنِيَ بالحِرْمان.

غداً تُوفَّى النُّفوسُ ما كسَبتْ ويحصدُ الزَّارعونَ ما زَرعُوا
إنْ أحْسَنوا فقد أحْسَنوا لأنفُسِهِم وإنْ أساؤُوا فبِئْسَ ما صَنعُوا

## أيُّ شهرٍ كان رمضانَ..؟

كان مَوْسِماً لمُضَاعفةِ الأعمالِ والغُفْران، ومُنبِّهاً لذوي الغَفلاتِ والنِّسْيان، مَحفُوفاً بفضيلةِ تلاوةِ القرآن، نهارُهُ مَصُونٌ بالصيام، وليلُهُ

مَعمُورٌ بالقيام، هبَّتْ فيه رياحُ الأُنْسِ باللهِ، وجادَتْ الأنفسُ بما عندها نحو اللهِ.

لَـكَ اللهُ يـا شَـهراً أفـاءتْ بِظِلِّهِ قلوبٌ على حَقلِ الخطيئَاتِ تُزهِرُ

ألا أيُّهذا الشَـهرُ أغـدِق فَضَائلاً على كُلِّ مسْكينٍ على العُدْمِ يُفطِرُ

كيفَ لا تَفيضُ دُموعُ المُؤمنِ على رَحيلِ رمضانَ، ولا يَدْري أيُدرِكُ تلكَ الفضائلَ والمَزايا مِنْ عَامِهِ الثَّانْ؟

كيف لا تَجْري دُموعُ المُخْبتةِ على فراقِ رمضانَ، ولا تَعْلم أحَظِيَتْ بالقَبولِ والغُفْران، أمْ رُمِيَتْ بالطَّردِ والحِرْمَان؟

يا اللهُ.. هانحنُ اليومَ أوْشَكْنا على التَّمام، فكيف وَداعُ المُحبِّين؟

## وما حالُنا مع هذا الرَّحيل؟

لقد كان سَلفُنا الصالِحُ خيرَ مثالٍ يُقْتدى به في التَّهنئة والبُشرى على بُلُوغِه، وهُو هُو اليوم كذلك في مَوقفِ الوَداعِ.. وما أحسنَ تلكَ الدُّموع وهي تُذْرَفُ بهُدوءٍ وفي سُكونٍ تُوَدِّعُ الضيفَ الحبيبَ!

تَذكـرْتُ أيـاماً مَضتْ ولَـيـالِـيا خَلَتْ فَجَرتْ من ذِكرهنَّ دُموعُ

ألا هلْ لها يومـاً مِـن الـدَّهر عَـوْدةٌ وهلْ ليَ إلى وقتِ الوِصَال رُجوعُ

وهل بعد إعراضِ الحبيبِ تَواصُلٌ وهــل لِــبـدورٍ قد أفَلْـنَ طُلـوعُ

انظر.. كيفَ كان الجِيلُ القُرآنيُّ الفريدُ في إِشْفَاقِهِم من قَبولِ العَملِ بعد رَحيلِ رمضانَ؟

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

قال الحسنُ رحمه الله: عَمِلُوا واللهِ بالطَّاعاتِ واجتَهدُوا فيها وخافوا أنْ تُرَدَّ عليهم، إنَّ المؤمنَ جمع إحساناً وخشية، وإنَّ المنافقَ جمع إساءة وأمناً[(١)].

آيـةٌ عظيمةٌ أرَّقَتْ قلوبَ الخائفين، وقَصَمَتْ ظهورَ الصالِحين، فلله دَرُّهُم.

رُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه كان يُنادِي في آخرِ ليلةٍ من رمضان: ياليتَ شعري! مَنِ المَقبُولُ فنُهنِّيه؟ ومَنِ المَحرُومُ فنُعزِّيه؟

وذا ابنُ مسعودِ رضي الله عنه يقول: أيَّها المَقبُولُ هنيئاً لك، ويا أيها المَرْدودُ جَبَرَ اللهُ مُصِيبتَكَ[(٢)]!

وهذا عامرُ بن قيس رحمه الله: يبكي! فقيل له ما يُبكِيك؟

فقال: واللهِ ما أبكي حِرْصاً على الدُّنيا أو متاعٍ، أبكي على ذهابِ ظَمَأِ الهَواجِر، وعلى قيام ليالي الشِّتاءِ[(٣)]!

---

(١) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (١٨/ ٣٢)

(٢) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (٣٧٧)

(٣) «الزهد» لابن المبارك (٩٥)

وقال عبد العزيز بن رَوَّاد رحمه الله: أدركتُهم - يعني: الصَّحابَة - يَجْتهِدُون في العملِ الصالِح، فإذا فعَلُوه وقعَ عليهم الهمُّ أيُقبلُ منهم أو لا؟

فبالله عليكم.. أرَأيْتُم صُورةً أحلى من صُورةِ المُخْبِتين في الوَدَاعِ؟

ترحَّلتَ يا شهرَ الصيامِ بصومِنا ... وقدْ كنتَ أنواراً بكلِّ مكانِ
لئنْ فَنِيَتْ أيامُك الزُّهرُ بَغتةً ... فما الحُزنُ مِنْ قلبي عليك بِفَانِ
عليكَ سلامُ الله كنْ شاهداً لنا ... بخيرٍ رعاكَ اللهُ مِنْ رمضانِ

فيا أُخيَّ.. ويا أُخيَّتي..

لِئنْ رحلَ رمضانُ، فإنَّ العملَ لنْ يَرْحلْ، ولِئنِ انقضَى رمضانُ فالسَّيرُ نحو اللهِ لن يَنْقضِي.

فيا أُخَيَّ.. بَادِرْ، وسَابِقْ، ونَافِسْ في الخَيْرَات، فالعملُ لا يتوقَّف إلَّا بانقطاعِ الأجل، وإذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ العمل[1].

فأبْقِ لكَ أثَراً صَالِحاً قَبْلَ الرَّحِيْل.

قال الحسنُ البصريُ رحمه الله: أيْ قوم، المُداومَةَ المُداومةَ، فإنَّ اللهَ لَمْ يجعلْ لعملِ المُؤمنِ أجلاً دُونَ الموت[2].

---

(١) إلاَّ من ثلاثٍ كما قال المصطفى ﷺ: «من صَدقةٍ جارية، أو عِلمٍ ينتفع به، أوْ ولدٍ صالحٍ يَدْعو له» أخرجه مسلمٌ (١٦٣١).

(٢) أورده ابن المبارك في «الزهد» (٧)

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]

فهذِه الأعوامُ والشُّهورُ، وتلكَ اللَّيالي كلُّها مقاديرُ الآجال، ومواقيتُ الأعمالِ، ثُمَّ تَنْقَضِي سَرِيْعاً، وتَمْضِي بَعِيْداً، والذي أوْجَدَها وخَلَقَها وخَصَّها بالفَضَائِلِ باقٍ لا يَزُول، ودَائمٌ لا يَحُوْل، إلهٌ وَاحِد، ولأعْمَالِ عبادِهِ مُراقبٌ مُشَاهِد[١].

## فما العَهدُ بعدَ رمضان:

النِّعمُ سابغةٌ، والرَّحمةُ واسعةٌ، ولا يَنْبغي للمُؤمنِ ولا للمُؤمنةِ أنْ يُبْدِلَ بالنِّعْمَةِ نقمةٌ، ويَخرُجَ مِن الغُفْران إلى العِصْيان، وها قد حَان الانتهاء، فيَحسُنُ بك أنْ تتحلَّى بما عَهِدْتُكَ وأحسبُكَ كذلك، واللهُ حَسِيبُك:

**أولاً:** بمثل ما استقبلتَ رمضانَ مِن الطَّاعةِ، وَدِّعْهُ واستقبلْ ما يتلُوه مِن الشُّهورِ فكلُّها أيامٌ للهِ تبارك وتعالى، فاعْمُرْها بما عَمَرْتها في رمضان.

**ثانياً:** حافَظْتَ على الصَّلاةِ بخُشُوعِها وخُضُوعها، وذَرفْتَ الدَّمعَ بين يدي ربِّك، فهلَّا بَقيْتَ على هذِه الحالةِ بقيَّةَ عُمرك، وفي سائر عَمَلِك؛ فالصَّلاةُ عمودُ الإسلامِ، **فأقِمْ عمودَ نفسِك، وأذِقِ الخشوع لقلبِك.**

**ثالثاً:** كان الصَّومُ لك جُنَّةً مِن أعدائك، وحِصْناً حَصِيْناً من شياطين

---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (٤٥٢).

الإنس والجِنِّ، لقوله ﷺ: «الصيامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، كجُنَّةِ أحَدِكُم مِنَ القِتَالِ»[1] فهل تَأْمنْ على نفسِك بقيَّةَ العامِ بلا حِصْنٍ ولا عُدَّة.

**فالصومُ باقٍ بقاءَ العام، فَطِبْ نفساً بِمَوَاسِمِ الصِّيَام:**

الست من شوال، والعشر من ذي الحِجَّة، ويوم عرفة، ثم شهر الله المحرَّم:

- «مَنْ صَامَ رَمَضَان، ثُمَّ أتْبعهُ ستاً مِنْ شَوَّالٍ كانَ كصِيَامِ الدَّهْرِ»[2].

- «ما مِنْ أيامٍ العَمَلُ الصَّالحُ فيْهَا أحَبُّ إلى اللهِ منْ هذِهِ العَشْرِ ـ أيْ: عَشْرُ منْ ذِي الحِجَّة ـ قالوا: ولا الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ، قالَ: «ولا الجِهَادُ في سَبِيْلِ اللهِ، إلَّا رَجُلٌ خَرجَ بَنَفْسِهِ ومَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ منْ ذَلك بِشَيءٍ»[3].

- «صِيامُ يومِ عَرَفَة أحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَهُ والسَّنَةَ التي بَعْدَهُ، وصِيَامُ يومِ عَاشُورَاء أحْتَسِبُ على اللهِ أنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التي قَبْلَه»[4].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٢٧٣) والنسائي (٢٢٣٢)، وابن ماجه: (١٦٣٩) من حديث عثمان بن العاص رضي الله عنه. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٤) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٦٩) مختصراً، وتمامه عند الترمذي (٧٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

❁ «أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمضَان؛ شَهرُ اللهِ المُحرَّم»[1].

❁ «أوصاني خليلي بثلاث: صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهر»[2].

❁ كان النبيُّ ﷺ يتحرَّى صيامَ الإثنين والخميس[3].

أسمعتَ هذه المَواسِمَ؟ إذَنْ فلا تَقْعُد عنها.

**رابعاً**: قمتَ رمضانَ إيماناً واحتِسَاباً ـ وأحسَبُك كذلك ـ وها قدِ انقضى شهرُ القيام، فلا تَقْصُر عنه سائرَ العام. فخُذْ بالجِدِّ فيه: «واعلَمْ أنَّ شرفَ المُؤمِنِ قيامُه باللَّيل»[4].

**خامساً**: خَتمْتَ القُرآنَ مرَّةً، أو بعضَ مرةٍ، وعَزفْتَ عن الشَّواغلِ حتى لا تَهْجُره في شَهْرِه، أيَحْسُنُ بك أنْ تُقَدِّمَ الشواغلَ عليه وهو كلامُ المَلِك! أهكذا تَقْدُمُ على ربِّك؟

هلَّا عزمتَ على صَرْفِها مرَّات؛ لتَحْظَى بِخَتَمات؟

يقولُ الإمامُ ابنُ قيِّم الجوزيَّة رحمه الله ذاكراً أولَ الأسبابِ المُوجِبَةِ لمَحبَّةِ اللهِ:

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (١١٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهي الأيام الثلاثة البيض، وهي (١٣، ١٤، ١٥).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٤٥٠٨)، والنسائي (٢١٨٩) والترمذي (٧٤٥) وابن ماجه (١٧٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) سبق تخريجه.

«قراءةُ القُرآنِ بالتَّدَبُّرِ والتَّفَهُمِ لمعَانِيْهِ، وما أُرِيدَ بِهِ، كتَدَّبُرِ الكِتَابِ الذي يحفَظُهُ العبدُ ويَشرحُهُ ليَتَفهَّمَ مُرادَ صَاحِبِهِ منه »[1].

**سادساً:** حافظتَ قدْرَ الطاقةِ على قَلبك مِن غَوائلِ الهَوَى النَّـزَّاعةِ للشَّوَى، صُنْتَ سَمْعكَ وبَصَركَ وفؤادَكَ عمَّا لا ينبغي في شهرِ الصِّيامِ رجاءَ كمالِه.

**لكنْ تذكَّر:** أنَّ صيامَ الجوارحِ لا يَنْقَضي بغُرُوبِ شَمسِ آخرِ ليلةٍ مِن رمضانَ، فشَرْعُ اللهِ دائمٌ على مَرِّ العام ذلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فأمْسِكْ عليك لسانَكَ.. ولْيَسَعَكَ بَيْتُكَ.. وابْكِ على خطيئَتِكَ

**سابعاً:** تَخلَّقتَ بأخلاقِ الإسلام في رمضانَ، فكنتَ تقُولُ لمن سَبَّك أو شَتَمَك «**إِنِّي صَائِمٌ**»[2] فهلَّا عَلَّمَك الصَّيامُ أنَّ ذلكَ الإمساكَ، هو للأخلاقِ ملاك، وتَذكَّر: «أقربُكُم مِنِّي مَجْلِساً يومَ القِيَامَةِ أحَاسِنُكُمْ خُلُقاً»[3].

**ثامناً:** أرْحَامُك، إخْوَانُك، جِيْرَانُك، أحْيَيْتَ وَصْلَهُم في رمضانَ، فلا تَعُدَّهم في المَوْتَى بعد رحيله! أَلَمْ يَأْنِ لكَ أنْ تَعْلَمَ أنْ وَصْلَهُمْ سيبقى حَيَّاً سائرَ الأيام.

---

(١) «مدارج» السالكين (٣/ ١٧)

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٦٦٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

تَفكَّرْ في قوله تبارك وتعالى، وهو يقُولُ للرَّحِمِ: «ألا يُرْضيكِ أنْ أصلَ مَنْ وصلَكِ وأقطعَ مَنْ قَطَعَكِ»[1].

وصَلَنَا اللهُ بحبل مَرْضاته، وبلَّغنا أريج نفحاتِه.

**تاسعاً:** كنتَ في شَهْرِكَ جَواداً كريماً، وربُّك الغَنيُّ الأكرَمْ، ألا تَحْنُو على عبادِهِ اليَتامَى والمساكين، فتَجُود وتُكْرِم، عَسَى أنْ يَجُودَ عليك بنَعِيم الجِنَان، ويَصُونَك عن لَهِيب النِّيرَان.

**عاشراً:** عَهِدتُكَ حَيَّاً حَيِيَّاً في شهر الصِّيامِ، ألا أريتَ اللهَ مِن نفسِك خيراً سائرَ العامِ، فحافظتَ على الطاعة وتعاهُدِها، وقد كان نبيُّك ﷺ يُعاهِدُ ربَّه على الطاعةِ في كلِّ ساعةٍ، قُبيل اللَّيل، وعند طُلوع النَّهار، ألا تَمْتَثِلُ ذلك؟.

وتَذْكُرَ قوله: «اللَّهُمَّ أنتَ رَبِّى، لا إلَه إلَّا أنتَ، خَلَقْتَنى وأنا عبدُكَ، وأنا على عَهْدِك ووعدِكَ ما اسْتَطَعْتُ»[2].

تلك عَشْرةٌ كاملة في حُسْن القُدُومِ على الله، فهلَّا لَزِمْناها[3].

فيا شهرَ رمضانَ تَرفَّقْ، دُمُوع المُحبِّين تُدْفَقْ، قُلُوبُهم مِن أَلَمِ الفِراقِ تَشَقَّقْ، عَسَى وَقفةٌ للودَاعِ تُطْفِئُ مِنْ نَارِ الشَّوقِ ما أحْرَقْ، عَسَى ساعةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠١) من حديث شدَّاد بن أوس رضي الله عنه.

(٣) مستفادةٌ من «روح الصيام ومعانيه» د. عبد العزيز مصطفى كامل، (١٣٥) بتصرف وزيادة.

تَوبةٍ وإقلاعٍ تَرْفُو مِنْ الصِّيامِ كُلَّ ما تخرَّقْ، عَسَى مُنقطعٌ عن رَكْب المَقبُولين يَلْحق، عَسَى أسيرُ الأوزارِ يُطلَقْ، عَسَى من استوجبَ النار يُعْتَقْ، عسى رحمةُ المولى لها العاصي يُوفَّقْ[1].

اللَّهُمَّ إنَّ هذا الشجنَ ممَّا نفحَ به الخاطرُ، وزكَّاهُ الضميرُ، وسالتْ به العبراتُ، فهي دمعاتُ مُحِبٍّ، وحديثُ أُنْسٍ، وصَدقةُ قائمٍ، ومَشاعرُ صائمٍ، وشَهادةٌ تُؤدَّى يومَ تُكْتبُ شهادتُهم ويسألون.

فاللَّهُم أحْسِن قُدُومَنا إليك، وأكرِمْنا يومَ الوُفُودِ عليك.

**أجل يا شهرَ الخيرات..**

فعُدْ مثلما قد جِئتَ ضَيفاً مُكْرماً ... تُعَمِّــرُ مــن بُنْيانـنـا مـا تُعَمِّـرُ

لك اللهُ يا رافداً مِنَ الله للــورى ... وبحراً من الغفرانِ لِلْخلْقِ يَغمُرُ

فمثْلُكَ شهرٌ لا تُوفَّى حُـقُوقُه ... وعن مَدْحِه كلُّ الأقاويلِ تقصُرُ

اللَّهُمَّ اجبُرْ كسْرَ قُلوبِنا على فِرَاقِ شَهْرنا..

اللَّهُمَّ أعِدْهُ علينا أعواماً عَدِيدة، وأزمِنةً مَدِيدة..

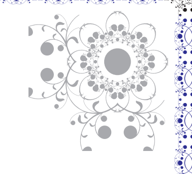
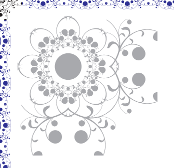
وكلَّ عامٍ وأنتُم إلى الرَّحمنِ أقربُ.



---

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب (٣٨٨).



## يَومُ الجوَائزِ

العِيدُ يومُ الجَائزةِ، وهُو يومُ الزِّينةِ، وأيُّ زينةٍ أبهى مِن زِيْنةِ الفائز في رَمضانَ؟

زينةُ الصَّائمِ، القائمِ، العابِد، السَّاجدِ، المُخْبِتِ المُنيبِ..

للهِ ما أبهى ذاكَ السَّيرَ إلى مُصلَّى العيدِ.. ونَفْسُكَ قارَّةٌ مُطمئنَّةٌ، راجيةٌ فَضْلَ ربِّها ونَوالَه.. تُكبِّر ربَّها تمامَ عِدَّة شهرها.

**اللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ.. لا إلهَ إلَّا اللهُ...**

كم تَبْتهِجُ النَّفسُ بما قدَّمتْ، ويَتطلَّعُ القلبُ لِمَا أعدَّه اللهُ للسَّابقِين المُنيبين..

| | |
|---|---|
| يُجازَى الصَّائمُونَ إذا استقَامُوا | بـدَارِ الخُلْـدِ والحُـورِ المِلاحِ |
| وبالغُفْـرانِ مِــنْ ربٍّ عَظِيـمٍ | وبالمُلْـكِ الكَبِيـرِ بـلا بـراحِ |

**في العِيْدِ**: جَوائزُ للتَّالينَ، وعَطايا المُخْلِصِين، وهِبَاتُ المُستَغْفِرين، ومِنَحُ المُتصدِّقِين، وغَنائمُ المُحْسِنين، وشَرفُ المُتهجِّدِين.

فكأنِّي بهم، يَمْشُون نحو مُصلَّاهم؛ مُشْرقةً وُجُوهُهم، قد ذَاقُوا تَمْرَ السُّنَّةِ في طَرِيقِهم فَرْداً فَرْداً، وتجمَّلُوا كأجْمَلِ ما يكُون؛ لِيَفِدُوا على الرَّحمنِ وَفْداً وَفْداً.

فيُجازِيهم أحسَنَ الجَزاءِ، وأجزَلَ العَطاءِ؛ فيا سَعْدهُم، رَضِي عنْهُم ربُّهُم، وقدْ عادُوا كيومَ وَلدتْهُم أُمَّهاتُهم..

**واهاً لرَحْمةٍ مِن رَحماتِ اللهِ.. وآهاً لمَغْفرةٍ مِن رُضوانِ اللهِ..**

صلُّوا فَرْضَهُم، وغَضُّوا بَصرَهُم، ثم قامُوا مُنْصرِفين فَرِحِين؛ ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]

**فيا لِهَيْبَةِ هذا الخطاب**.. وأيُّ طربٍ للقَلْبِ بعد هذا الفَرَح:

ومِنْ نَعيمِ لذَّةِ الفَرحِ أنْ تُنْزلَ في جنَّةِ الفِرْدَوسِ بإذْنِ اللهِ.. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

## مَن أحقُّ النَّاسِ بها؟

﴿جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾: «نُـزُلٌ وضِيافـةٌ **لأهـلِ الإيمانِ والعمـلِ الصَّالِحِ**، وأيُّ ضيافـةٍ أجـلُّ وأكبـرُ وأعظمُ مِن هـذه الضِّيافـةِ المُحتَويـةِ على كلِّ نعيـمٍ للقُلـوبِ، والأرواحِ، والأبـدانِ، وفيهـا مـا تَشْـتهيه الأنفُـسُ، وتلَذُّ الأعيـنُ مِنَ المَنـازلِ الأنيقَـةِ، والرِّيـاضِ النَّاضِـرةِ، والأشـجارِ المُثْمرةِ، والطُّيـورِ المُغـرِّدةِ المُشْـجِية، والمـآكِلِ اللَّذيـذَةِ، والمَشـارِب الشَّـهيَّةِ، والنِّسـاءِ الحِسَـانِ، والخَـدَمِ والوِلْـدَانِ، والأنهـارِ السَّـارِحةِ، والمَناظِـرِ الرَّائقـةِ، والجمـالِ الحِسِّـيِّ والمَعنـويِّ، والنِّعمـةِ الدَّائمة.

**وأعلى ذلك وأفضلُهُ وأجلُّه، التَّنعُّمُ بالقُرْبِ مِن الرَّحمن ونيلِ رِضَاه، الذي هُو أكبـرُ نَعِيمِ الجِنَانِ، والتَّمتُّعِ برُؤيةِ وَجْهِه الكريم**، وسَماعِ

كلامِ الرَّؤُوفِ الرَّحيم، فللَّهِ تلكَ الضِّيافةُ، ما أجلَّها وأجملَها، وأدْوَمها وأكمَلها! وهي أعظمُ مِن أنْ يُحِيطَ بها وَصْفُ أحدٍ مِن الخلائق، أو تَخطُرَ على القلوبِ.

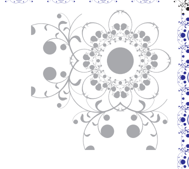
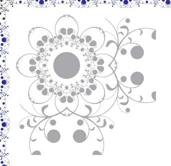
فلو عَلِم العبادُ بعضَ ذلك النَّعيمِ عِلْماً حقيقياً يَصِلُ إلى قلوبهم؛ **لطارَتْ إليها قُلوبُهم بالأشواقِ**، ولتقَطَّعتْ أرْواحُهُم مِن ألَمِ الفِرَاقِ، ولسَارُوا إليها زُرَافاتٍ ووُحْدَانا، ولم يُؤثِرُوا عليها دُنيا فانيةً، ولذَّاتٍ مُنغَّصةٍ مُتلاشِيةً، ولم يُفوِّتوا أوقاتاً تذهبُ ضائعةً خاسِرةً، يُقابِلُ كلَّ لحظةٍ منها مِن النَّعيم مِن الحِقَبِ آلافٌ مُؤلَّفةٌ، ولكنَّ الغفلةَ شَملَتْ، والإيمانَ ضَعُفَ، والعِلْمَ قلَّ، والإرادةَ نَفِدَتْ؛ فكانَ ما كان، فلا حولَ ولا قُوَّة إلَّا باللهِ العَليِّ العظيم»[1].

| | |
|---|---|
| **ليس عيدُ المُحبِّ قصدَ المُصلَّى** | **وانتظـارَ الأميـرِ والسـلطانِ** |
| **إنَّمـا العيـدُ أن تكـون لـدى اللهِ** | **كريمـاً مُقرَّبـاً فـي الأمـانِ** |



(١) «تيسير الكريم الرحمن» للسعدي (٤٨٨)





فهـذِه عَزائـمُ رُشـدٍ، ومُثُـلُ فـلاحٍ، ومَراشِـدُ هدايـاتٍ، وصَفـوةُ وَصايـاتٍ، همسـتُ لـك فيهـا بمـا يَنْفعنـي اللهُ وإيَّـاك بـه في هذا الشَّـهرِ المُبـارَكِ، ما إنْ أحسـنتَ الانتفـاعَ به رَقَتْ بـك مَدارجَ الرَّبانيـة، وبلَّغتْك مِعَـارجَ النَّفـسِ الصَّفيَّة.

واجعل فيما قرأتَ ممَّا وقعَ في خاطِرك، وارتَسَمْتَ لنفْسِك فيه سُلَّماً للمَعالِي؛ أنْ لا تَعمل فيها بحَماسٍ يَقطعُك إذا خَمَل، ويُزهِّدُك إنْ لم تَصِل، ولكن اصدق نَفْسَك، واجعل لنفسِك مِن مُثُل السَّعاداتِ ما يُثقِّلُ مَوازِينَك في ذلك اليوم الرَّهِيب.

**وقيِّد هذا على نفسِك، وتعاهدها بشَريفِ القِيَم، وارتياض الهِمَم؛ تُرزَق النِّعَم!**

يقُـولُ شـيخُ الإسـلامِ ابـنُ تيميَّة رحمـه الله: «المُسـلِمُ الصَّـادِقُ إذا عَبَـدَ اللهَ بمـا شَـرعَ؛ فتـحَ عليه أنـوارَ الهِدَايـةِ في مُـدَّةٍ قَريبـةٍ»[1].

وإني نَاصِحٌ نفسِي وإيَّاك بما يأتي:

١. **قيِّد هاته العَزَماتِ**، وأسِّس في رُوحِك وقلبِك منها عَملاً مَتيناً،

---

(١) «الاستقامة» (١/ ١٠٠).

**وحاسِبْ نفسَك عليها**، واجعلها بين رَغْبةٍ ورَهْبة؛ تنقاد لك، وتَظفَرُ برُشْدِها وعافيتِها.

ومِن لطائفِ القُدْوةِ في ذلك مِن حالِ الرَّعيلِ الأوَّل مِن سَلفِنا الصَّالِح، الإمامُ الحافظ شيخُ الحرم، أبو القاسم سعد بن علي الزَّنجاني رحمه الله (ت٤٧١هـ).

يقصُّ الإمامُ الذهبيُّ رحمه الله مِنْ خَبرِه عَجَباً؛ فيقُول عن أحدِ مُترجِميه: لمَّا عزمَ سعدٌ على المُجاورَة ـ يعني: للحَرمِ ـ عزمَ على نيِّفٍ وعشرينَ عزِيمةً، أنْ يُلْزمها نفسَه مِن المُجاهدَاتِ والعبادَاتِ؛ فبقي به أربعينَ سنةً لم يُخلَّ بعزيمةٍ منها[1].

أرأيتَ هِمَم الرَّجالِ، والنَّفوسَ التي تَتطلَّع نحو الدَّار الآخرة؟.

ها أنتَ اليوم.. فقيِّد مِن عَزماتِك، وسِرْ عليها حتى مَماتِك، ليوم القُدُومِ على ربِّك تبارك وتعالى، فإنَّ السَّعيدَ مَن وُعِظ بغيرِه.

**وجعلتُ لك تَقْيدَاتِ نَفسِك في آخر كتابك.**

٢. **سِرْ بنفسِك على طاقتِها**، ولا تُجْهِدها ما لا تَحْتمِل، واعتبِرْ مِن حالِ نبيِّك ﷺ يوم قال: «يا أيُّها النَّاسُ، **عَليكُم مِن الأعمالِ ما تُطِيقُونَ**، فإنَّ اللهَ لا يَملُّ حتَّى تَملُّوا، وإنَّ أحَبَّ الأعمالِ إلى اللهِ ما دُوْوِمَ عليه، وإنْ قَلَّ»[2].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٨٧)

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فألْزِم نفسَك عزائمَها، وامتثل نَصائحَها، واجعَلْ أخذَكَ لها أَخْذَ مُرُوءةٍ وفُتوَّة، اعتباراً بقَولِه: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

**إِذا أَنْـت لـم تَرْحـلْ بـزادٍ مِـنَ التُّقـى**
**وأبصـرْتَ يَـوْمِ الحَشْـر مَـن قد تَـزوَّدَا**
**نَدِمـتَ علـى أنْ لا تكـونَ كمِثْلِـه**
**وأنَّـك لـم تُرْصِـدْ كمـا كانَ أرْصَـدا**

**يقُولُ بعضُ البُلغاء**: كلُّ امرئٍ يَجْري مِن عُمُره إلى غايةٍ تنتهي إليها مُدَّةُ أجلِه، وتَنْطوِي عليها صَحِيفةُ عَملِه؛ **فخُذْ مِن نفسِك لنَفْسِك، وقِسْ يومَك بأمْسِك**، وكُفَّ عن سيئاتِك، وزِدْ في حَسناتِك، قبل أنْ تستوفيَ مُدَّة الأجل، وتَقصُرَ عنِ الزِّيادةِ في السَّعي والعمل[١].



---

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (٢٣٥)

# فلْيُكْرِمْ ضَيْفَه

# أقمْ صلاتَك

# عبادةُ الصَّومِ

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

# شرفُ المؤمن

# خلُقُه القرآن

## الاعتكاف

## فإني قريب

# عمرة رمضان

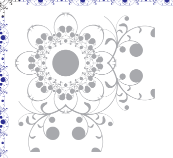
## ولو بشق تمرة

# صلة الرَّحِم

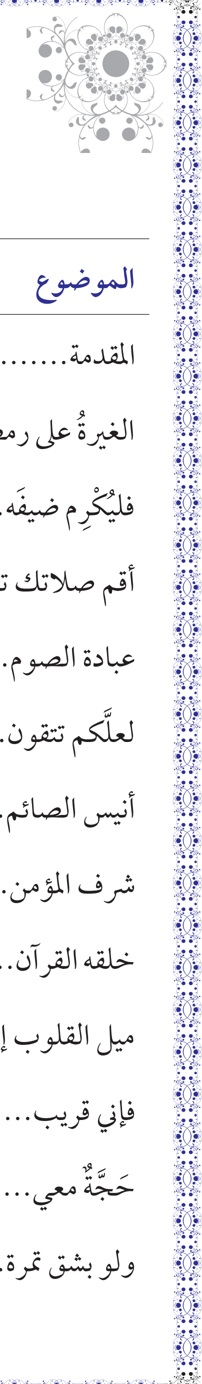
# العهدُ بعد رمضان

# يوم الجوائز





# فهرس المحتويات



| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |